# صفحات من حياة العلامة محمد نسيب الرفاعي

تأليف
عصام موسى هادي

# صفحات من حياة العلامة

# محمد نسيب الرفاعي

# الطبعة الأولى

٢٠١٨ م ١٤٣٩ هـ

# صفحات من حياة
# العلامة
# محمد نسيب الرفاعي

تأليف

عصام موسى هادي

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

إن الحمدَ لِلّهِ نَحمَدهُ وَنستَعينهُ وَنستغفره، ونَعوذُ بِالله مِن شُرورِ أنفسِنَا، ومِن سيّئاتِ أَعمالنا، مَن يَهدِه اللَّه فَلا مُضلَّ لَهُ، وَمن يُضلِل فَلَا هاديَ لهُ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلَّا اللَّه، وَحدهُ لا شَريكَ لَه، وَأشهدُ أنّ مُحمَّدًا عَبدهُ ورسُولهُ:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

**أَمَّا بَعْدُ:**

فهذه ترجمةٌ لشيخي وأستاذي العلامة محمد نسيب الرفاعي رحمه الله عسى أن أفيه قطرةً من بحره الزخار المتدفق بالنعم والإحسان عليَّ إذ جئته رحمه الله في "مسجد التكروري" في الهاشمي الشمالي وأنا فتىً صغيرَ السنِّ لم أبلغ الحلم فلزمته ملازمة تامة

حتى إني لا أعلم أحداً من طلابه في الأردن تسنى له أن يلازمه ملازمتي، وبذلك عرفتُ عنه الكثير رحمه الله.

أقول: جئتُهُ رحمه الله وأنا لا أعلم من العلوم شيئاً، فمنه تلقيتُ العقيدةَ السلفيةَ والمنهج السلفي، حتى غدوت إماماً وخطيباً وواعظاً في المسجد الذي جئته فيه خاوياً من العلوم[١].

أقول ذلك إظهاراً للحق، وعرفاناً بالجميل، فأنا شجرةٌ من غراسه.

أخي القارئ لا أخفيك أني في حيرة واضطراب، وعدم مطاوعة من القلم، وأنا أقدم بهذه السطور لهذا العَلَم من أعلام الدعوة السلفية في الشام؛ ليقيني أولاً بالتقصير في هذه الترجمة ولو استوفيتُ فيها ما استوفيت.

وثانياً لأن صورةَ الشيخ وهيبته ماثلةٌ أمامي فما عَسايَ أن أقول فيه وحالي معه حال من عرفتَ، فالله أسأل أن يغفر زلتي وتقصيري إنه سميعٌ مجيب الدعاء.

وكتبه

عصام موسى هادي

عمان- الأردن

***

---

(١) قال الشيخ الأديب علي الطنطاوي رحمه الله: ((الناس الذين يدخلون حياتنا منهم من يمر كما يمر النهر على الصخر لا يترك أثراً ولا ينبت زهراً ولا ثمراً، ومنهم من يمر مرور الماء على الأرض البكر تكون قبله قنوات قاحلات وتصير بعده جنات ممرعات)).

*** اسمه ونسبه:**

"محمد نسيب" بن عبد الرزاق بن محي الدين الرفاعي.

ورأيتُ بخط يده: ((فإنني الرفاعيُّ نسباً... والسلفيُّ عقيدةً ومذهباً)).

وقال شيخنا -ومن خطه أنقل-: ((وأحسبُ أن الناس في بلدنا يعترفون بصدق نسب العائلة الرفاعية لآل البيت والله حسيبهم، ولا أزكي على الله أحداً، ويحتفظ بهذا النسب كبير العائلة وهو مصدَّق من المشيخة الإسلامية بإسطنبول عاصمة المملكة العثمانية سابقاً ومن نقباء الأشراف من آل البيت... وآخر من صدقه الملك فيصل بن الحسين بن علي، وذلك في الليلة التي لبّى فيها الملك فيصل دعوة العائلة الرفاعية إلى حضور حفلة تكريمية في التكية الرفاعية بحلب عام ١٣٣٨هـ الموافق ١٩٢٠م على أنني أجزم قاطعاً بأنه: "ليس بشرف النسب تعلو الرجالُ بل بِحُسْنِ الفعال" وإذا اجتمع النسبُ والفعلُ الحسنُ... كان ذلك نوراً على نور، وقد قلتُ في ذلك شعراً:

وَلَيْسَتِ النِّسبةُ العُليا مشرِّفَةً ... إنْ لم يَزِنْها الفتى بالدين والأدبِ
سلمان مَثْواهُ جَنَّاتٌ مخلّدةٌ ... والنارُ قد جُعِلتْ مثوى أبي لهبِ
والدينُ والنسبُ الأسمى إذا اجتمعا ... فاز الفتى بكريم الفعل والنَّسبِ

*** مولده:**

قال شيخنا -ومن خطه أنقل-: ((وقد ولدتُ بمدينة حلب الشهباء وذلك في التاسع من شهر رمضان سنة ١٣٣٢هـ الموافقة سنة ١٩١٥م)).

*** نشأته:**

نشأ شَيْخُنا رحمه الله في حلب وترعرع في بيت عُرِفَ بالتديّن والمحافظة، إذ ينتسبُ هذا البيتُ إلى الشيخ أحمد الرفاعي والذي تُنْسَبُ إليه الطريقةُ الرفاعيةُ الصوفيةُ، ولو استمرَّ شيخُنا في طريق التصوف لكان شيخ الطريقة في حلب بلا منازع، ولكنه رحمه الله اختار ما عند الله، وما عند الله خير وأبقى.

*** بدايته العلمية:**

حُبِّبَ إليه رحمه الله الأدبُ والشعرُ، فكان يُكْثِرُ من القراءة في كتب الأدب والشعر، ثم بدأ رحمه الله يَنْظِمُ الشعر كبداية أي شاعر تبدو الركاكةُ والضعفُ في شعره، ثم يرتقي إلى أن يصبح شِعْرُهُ في الذروة.

أقول: والذي ساعد شيخنا على أن يبلغ الذروة في شعره انتظامُهُ في الثورة ضدَّ المحتل الفرنسي لبلاده، حيث اشترك رحمه الله في الكتلة الوطنية في مقاومة الفرنسيين بقيادة إبراهيم هنانو، وأخذ ينظم القصائدَ الفائقةَ الرائقة في الوطنيات ومقاومة المحتل، حتى أصبح شاعر الكتلة الوطنية على صغر سنه رحمه الله حيث كان من أصغر المشاركين في الكتلة الوطنية.

أقول: وانشغالُهُ رحمه الله في العمل السياسي ضد المحتل كان من الأسباب التي نقلته قليلاً عن بيئة التصوف، وإن كان ما زال حاضراً لحلقاتهم، وقد حدثني رحمه الله أن هذا الانتظام في الكتلة الوطنية والسياسة نبهه على بعض العيوب في حركة التصوف

فقال: كنت بَعْدُ إذا حضرت حلقة ذكر أو رقص أرقص معهم وأذكر معهم، وأنا داخلياً غير راضٍ عن ذلك ولكنّ نفسي تحدثني وتقول: هكذا الدينُ فأسكت وأُسلّم.

*** الطريق من الظلام إلى النور:**

ولما كان شيخنا رحمه الله كما أسلفت قد انتظم في سلك الثورة ضد المستعمر الفرنسي، وأكثر من القصائد الوطنية كان ذلك سبباً لاعتقاله من قبل الفرنسيين، وقد أدخل السجن عدة مرات منها في أوائل الأربعينات حيث سجن في معتقل "الميّه ميّه" و"قلعة راشيا" في لبنان مع عدد من الشخصيات الإسلامية كالشيخ المجاهد مصطفى السباعي وغيره.

أقول: وكان من جملة هؤلاء الشاعرُ الأديبُ عمر أبو النصر وكان كاتباً يكتب الكتيبات الإسلامية مثل: "خالد بن الوليد" و"معاذ بن جبل" و"الحجاج" ونحو ذلك، وكان يحمل معه في معتقله حقيبةً مليئة بهذه الرسائل وبعض الكتب.

قال شيخنا: فأخذت أطلب منه هذه الرسائل، كلما فرغت من رسالة أخذت الأخرى، وهكذا حتى قال لي: انتهت الرسائلُ التي معي.

فقلت له: يا أستاذ ابحث لنا هنا أو هناك عن كتاب فإن بيت السبع لا يخلو من العظام.

فقال: في الحقيقة بقي معي كتاب واحد لعلك لا تفهمه.

فقلت له: لِمَ هل هو بالفرنسية؟!

قال: لا، بل بالعربية، فقلت: إذاً هاته فقال: لعله لا يعجبك، فقال شيخنا: هات الكتاب.

قال شيخنا: فلما أخرجه وإذا به كتاب "مجموعة الرسائل والمسائل" لشيخ الإسلام ابن تيمية.

قال شيخنا: فأمسكت الكتاب وفتحته ليس من أوله وإذ بي أقع على عنوان: "مناظرة ابن تيمية العلنية لدجاجلة البطائحية الرفاعية".

قال شيخنا: ونزل العنوان على رأسي نزول الصاعقة، فأنا من الرفاعية نسباً وطريقة فكيف لابن تيمية أن يصفنا بالدجاجلة! قال شيخنا: فأخذت أسب وأشتم.

قال شيخنا: ثم قلت – وقد دفعني الفضولُ-: لأنظرنَّ ما يقول، قال شيخنا: فقرأت الفصلَ كُلَّه، فلما أنهيته وجدتُ نفسي مسلّمة لابن تيمية فيما ذكر، فهذا هو واقع الطريقة، وأنا ابنها وصاحب البيت أدرى بما فيه.

قال شيخنا: فقلت: لأقرأن الكتاب من أوله فهذا كتاب يقرأ.

قال شيخنا: فبدأت بقراءة الكتاب قراءة المتمعن الباحث عن الحق حتى أنهيت الجزء، وقد هالني ما فيه: ابن عربي سلطان الأولياء! عنده من الكفر ما عنده! التصوف مليء بالبدع والخرافات، وها هو ابن تيمية في كل ما يقول يدعم قوله بالآية والحديث والبرهان الساطع الذي لا يمكن رده.

قال شيخنا: فحمدتُ الله وشكرته على إزالته الغشاوة عن عيني، وقد أبصرت نور الحق وانقشع ظلام الباطل.

قال شيخنا: وقد كنت يومها أشرب الدخان فامتنعتُ عن شربه، وأخذت أدخر ثمن علبة الدخان، وحين يأتي أهلي لزيارتي أعطيهم هذا المال وأقول: أحضروا لي كتاباً لشيخ الإسلام ابن تيمية، وهكذا أخذت أسلك الطريق في قراءة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية حتى صلحت عقيدتي فهو صاحب الفضل عليَّ بعد الله في اتباع منهج السلف في الاعتقاد.

قال شيخنا: ثم صليتُ ركعتين وقلتُ: لئن أخرجني الله من هذا السجن لأنشرنَّ هذا الحقَّ وهذا المنهج.

* نشر الدعوة:

قال شيخنا: ولما خرجتُ من السجن أخذتُ أدعو أهلي ومن حولي من قومي إلى العقيدة الصحيحة، وترك ما هم عليه من باطل من تصوف واستغاثة بالمخلوق.

قال شيخنا: فجاءني ابن عمي وكان متصوفاً فقال لي: لماذا لا تذهب عند شيخنا محمد النبهان؟

وكان شيخاً معظماً عند الناس في حلب ومن كبار الصوفية، فقلت له: أذهب عنده، قال شيخنا فذهبت وابن عمي عنده، فلما جلسنا قلت له: يا شيخ عندي إشكالات أريد أن أسأل عنها؟ فقال: تفضل.

ثم أخذت أذكر له ما عليه الصوفيةُ من ضلال وأجبهُهُ بالكتاب والسنة وأطالبُهُ بالدليل في دَهَشٍ من الحاضرين إذ تعود الناس أن يقول الشيخُ فينتهوا عند قوله، فالشيخ لا يُطالب بالدليل، فضلاً عن المراجعة، حتى سار بنا الكلام إلى الحديث عن

ابن عربي، فقلت له: كنت أعرف منكم ومن آبائي أن ابن عربي سلطان الأولياء! فقال محمد النبهان: هو كذلك، فقال شيخنا: ولكني قرأت لابن تيمية كلاماً ذكر فيه أقوالاً لابن عربي فيها الكفر الصراح فقال النبهان: ابن تيمية متعنت ويعادي الأولياء!!!

فقلت: ولكن ما ذكره دعمه بالحجج والبراهين التي لا يسعُ أحداً رَدُّها.

ثم قلت له: ولا أصرح على كفره من قوله:

وما الكلب والخنزير إلا إلهنا ❊ وما الله إلا راهب بكنيسة

فقال النبهان وهو يضحك: يا بني لا تعرف العربية؟! فقلت: بلى أعرفها بل أنا شاعر. فقال: يا بني ألم تقرأ درساً في العربية اسمه حذف المضاف؟!

فقلت: بلى فقال: هذا من باب حذف المضاف والمعنى:

ما الكلب والخنزير إلا خَلْق إلهنا وما الله إلا خالق راهب بكنيسة.

فقلت له: يا أستاذ هذا في اللغة باطل، ولا يكون حذف المضاف بعد نفي وحصر.

فقال لي النبهان: يا بني كلام ابن عربي عين التوحيد.

فقلت له: بل عين الكفر.

فقال: أنا أقول به فهل أنا كافر؟ فقلت له: بل أنت كافرين!

فأراد تلامذتُهُ أن يقعوا بي فقال: اتركوه إنه ابن شيخنا.

قال: فخرجت من عندهم ثم بدأتُ بنشر عقيدة التوحيد في حلب ومحاربة الصوفية والقبوريين بلا مهادنة لم أترك زاوية ولا مسجداً لهم ولا سوقاً إلا وجهرت فيه

بدعوة التوحيد، وصدعت بالآيات والأحاديث التي تدل على ضلالهم وانحرافهم، مما سبب لي الأذى الكثير منهم، ومن أقل الأذى الذي لحقني كنت إذا ما دخلت سوقاً من أسواقهم ورأوني أخذوا يصرخون من أول السوق حتى آخره وهابي! اللّهم صل على النبي! وهابي اللّهم صل على النبي! فأضحك وأقول: الحمد لله الذي جعل وجهي يذكركم بالصلاة على النبي ﷺ.

ومع مرور الأيام والصبر على الدعوة استطعت أن أُخَلِّصَ الكثير منهم من بيئة التصوف إلى بيئة التوحيد، وأخذت هؤلاء الذين خلصتهم إلى بيتي، وعملت لهم دروساً في التوحيد حتى أصبحوا على علم ومعرفة -ولله الحمد- بالتوحيد.

ثم أنشأتُ جمعية وأسميناها "جمعية الدعوة المحمدية للصراط المستقيم بيت التوحيد".

قال لي شيخنا: لا أدّعي أنه لم يكن في حلب سلفيٌّ غيري، ولكن لم يجرؤ أحدٌ على الصدع بالدعوة ونشرها، فأنا -ولله الحمد- أولُ من صدع بدعوة التوحيد في آذانهم، وصابر وكابد في سبيل نشرها، وحسبك من ذلك أن بعض القضاة في حلب رآني في السوق فقال لي: أريدك اليوم تعال إلى بيتي، فلما حضرت إلى بيته أغلق الستائر، ثم دخل غرفته الخاصة ثم عاد وهو يتكلم بصوت منخفض وقد أخفى شيئاً في يده ثم ناولني إياه وهو يقول: هذا يفيدك لكن لا تخبر أحداً أني أعطيتك إياه، وإذ به كتاب "الأصول الثلاثة" للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

قال شيخنا في كتاب "التوصل إلى حقيقة التوسل" (ص٣٥٥) في خطابه المفتوح لشيخنا العلامة الألباني رحمه الله: ((أما حلب... فما أظنها كانت خالية ممن يعرف الحق.... ولكن كانت خالية فيها أعلم ممن يجرؤ على الصدع بالحق والجهر به، فوفقني الله تعالى – على قلة بضاعتي – أن أقوم بالدعوة بحلب جاهراً بها أولاً في محيط الكلية الإسلامية التي كنت مراقباً موجهاً فيها، فاستجاب لها بعض الطلاب، ثم دعوت بها بين طبقات الشعب، وكنت أطوف على العلماء والمشايخ لعلي أجد بينهم النصير فكان منهم من يستجيب لها ولا يجرؤ على الجهر بها، وكان الآخرون من أهل الطرق وأهل وحدة الوجود والاتحاد والحلول يناصبونني العداء فكنت أغزوهم لوحدي في عقر تكاياهم وزواياهم وخانقاتهم، وأتصدى لدهاقين الزندقة والوثنية المبرقعة حتى أصبحت الدعوة السلفية عَلَماً عليَّ بحلب، وغدوت أنا علماً عليها بحلب، لا أقول هذا فخراً وإعجاباً واستعلاء... لا والذي خلق السموات والأرض، إنما أحرجتني فاضطررت إلى تعداد نعم الله عليَّ)).

*** اللقاء بالعلامة الألباني عام (١٩٤٥م):**

قال شيخنا: واستمررت بالدعوة في حلب وفي يوم من الأيام أراد بعض إخواننا الطلبة الذهاب إلى إتمام دراسته في دمشق فكتبت له كتاباً إلى الشيخ بهجة البيطار أطلب منه العناية بهذا الطالب، وأوصيت الطالب بملازمة البيطار فهو من علماء السلف في دمشق، وذهب الطالب إلى الشام، وبعد مدة وجيزة إذ بهذا الطالب يرسل لي رسالة

يخبرني فيها بأنه قد تعرف على شيخ سلفي بدمشق هو أعلم من بهجة البيطار وهو الشيخ محمد ناصر الدين الألباني[١].

قال شيخنا : فما أن وصلت إليَّ الرسالةُ وكنت في الكلية الإسلامية أرسلت من يحضر لي من البيت حقيبة فيها ملابسي وسافرت من ساعتي إلى دمشق شوقاً للتعرف على هذا الشيخ الذي وصف لي من سعة علمه، وفعلاً وصلت دمشق، وتم اللقاء بالأستاذ الألباني وإذ به فوق ما وصف لي من سعة علم وذكاء واطلاع في الدعوة السلفية، وخصوصاً بسنة النبي ﷺ ومعرفة صحيحها من ضعيفها.

قال شيخنا في خطابه المفتوح للعلامة الألباني (ص ٣٥٦): ((حتى سمعت بك فأسرعت أنا إلى لقائك والتعرف عليك وضممت جهودي إلى جهودك واقترحت عليك ألا نجعلها حبيسة في دمشق وحلب بل يجب أن تعم البلاد بأجمعها فوافقتَ حفظك الله، ثم بدأنا بالخطوة الأولى بالتعرف على علماء دمشق وزيارتهم كبهجة البيطار وحامد التقي وخالد حوجه وسائر من زرناهم كمظهر العظمة وغيره، نعرض عليهم العمل على أساس هذه الدعوة، ثم ذهبتُ إلى حماة فوحّدنا معهم العمل، وإلى حمص كذلك، وكذلك مع إخواننا في الجزيرة والرقة وإدلب، وهكذا إلى أن أصبحت الدعوة السلفية ممثلة في أكثر البلاد السورية، ثم تعدت خطواتنا إلى خارج البلاد السورية فاتصلتُ بإخواننا في مصر والسعودية)).

---

(١) وكان يومها يدعى محمد ناصر الدين الأرنؤوط.

قال شيخنا: وتم الاتفاق مع الأستاذ الألباني أن يزورنا في حلب في كل شهر ثلاثة أيام، يلتقي بها الطلاب والناس، ويلقي فيها دروساً في الدعوة السلفية، وكذلك ينطلق الشيخ إلى القرى المجاورة يلقي فيها الدروس، وبذلك صدعنا بالدعوة السلفية في سوريا كلها، وسمع بها العلماء وأقبل إليها الشباب من كل فج يتبنون هذه الدعوة المباركة وينشرونها في قراهم ومدنهم.

قال شيخنا في خطابه المفتوح للعلامة الألباني (ص٣٥٦): ((وأرسلتُ من إخواننا البعثات العلمية إلى الرياض فتخرجت من معاهدها وكلياتها العلمية نماذج طيبة من الدعاة إلى الله يحملون شهاداتها العليا ثم عادوا إلى بلادهم يحملون العلم بالدعوة فنشروها عن علم ومعرفة وبصيرة)).

قال شيخنا: ولما انتشرت الدعوة السلفية بهذا الشكل في سوريا جُنَّ جنون أهل الطرق والبدع فأخذوا يشنون الحملة على الدعوة ورجالها وأخذنا نتصدى لرد شبهاتهم والإجابة على افتراءاتهم.

*** المحنة والبلاء:**

قال شيخنا: ثم انتقلنا إلى مرحلة أخرى وهي مرحلةُ المحنة والابتلاء حيث قام أهل البدع بالشكوى إلى الجهات الأمنية والافتراء علينا بأننا وهابيون عملاء للسعودية وتأتينا الأموال (بالشوال الخط الأحمر) مما عرضنا للسجن والتضييق علينا في دعوتنا وفي دروسنا ولقاءاتنا.

*** محاولة قتل الشيخ:**

قال شيخنا: وفي ذات يوم طرق رجل باب بيتي ففتحت الباب واستقبلته بوجه طلق وبعبارات الترحيب فدخل الرجل وجلس ثم أخذ يسألني ويقول: أنتم الوهابية تقولون: إن العصا أفضل من محمد! وأنكم لا تحبون الصلاة على النبي ﷺ!

وهكذا من شبهات الصوفية وافتراءاتهم، فأخذت أبين له، وكنت كلما ذكرت النبي ﷺ صليت عليه فيتبسم الرجل ويضحك فقلت له: لماذا تتبسم وتضحك؟

قال: لأنك وهابي ولا تحب النبي ولا تصلي عليه!

فقلت له: أتراني أصلي عليه الآن مجاملة لك؟! ألا تراني أصلي في المسجد؟!

قال: بلى!

قلت: وهل تصح صلاتنا بدون الصلاة على النبي ﷺ؟!

قال: لا، قلت: إذاً فكيف نحن لا نحب النبي ولا نصلي عليه وهو الذي أرسله الله لنا هادياً وبشيراً، ثم بينت له دعوة التوحيد، وأخذت أبين له لماذا ينعتنا الصوفيون بلقب الوهابية، وإذا بالرجل يقوم فيستقبل القبلة ويقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأخرج خنجراً من جيبه وقال: طلب مني الصوفيون أن أقتلك بهذا الخنجر وقالوا لي: بأنك تكره النبي وأنك وهابي تريد هدم الدين!

ثم قال وقد ملأت الدموع عينه: افعل بي ما تشاء فوضعت يدي على كتفه وقلت: يغفر الله لي ولك ثم قال: يا شيخ أنا معك والآن أريد أن أذهب فأقتلهم.

فقال: الشيخ: لا تفعل، وَأَقبَلَ على دروسنا وصار من إخواننا.

*** السجن والتعذيب:**

ظهر لكل ذي عينين نشاط شيخنا في الدعوة للتوحيد في حلب وقراها ومع تزايد الحملة ضد الشيخ والافتراء عليه من الصوفية وأذنابهم ولتاريخه النضالي والسياسي قامت المخابرات بالضغط عليه واستجوابه أكثر من مرة وكل ذلك والشيخ صابر محتسب وفي إحدى المرات وبعد عودته من السعودية وكان هناك في حفل في عهد الملك فيصل رحمه الله ضم جماعة من العلماء وقد أعلن الملك فيصل عن مشروع للوحدة الإسلامية (الحلف الإسلامي)[1] سنة ١٩٦٥م فقام شيخنا بالثناء عليه في قصيدة فلما عاد شيخنا إلى سوريا تم استجواب الشيخ على القصيدة التي قالها في مدح الملك فيصل، واتهم بالولاء للسعودية..

وقال له المحقق: نحن نعلم أن كل شيوعي ولائه لموسكو وكل سلفي ولائه للسعودية.

فقال شيخنا للمحقق: إننا معاشر السلفيين لا نتدخل في السياسة الآن وإنما نقتصر في هذه المرحلة على دعوة الناس للتوحيد وتعليمهم سنة نبيهم ﷺ.

وبالنسبة للقصيدة التي مدحت بها الملك فيصل إنما مدحته لكونه عمل على الوحدة الإسلامية وهذا شيء يشكر عليه فقال: ولماذا لا تمدح (فلاناً) فقال شيخنا: ليفعل وسوف أمدحه من الغد.

---

(١) وفي عام ١٩٦٩م تحولت إلى منظمة المؤتمر الإسلامي.

أقول: ومقصودنا أن الشيخ كثر استجوابه من الدوائر الأمنية وفي كل استدعاء تختلف المعاملة ترغيباً وترهيباً إلى أن جنحوا في النهاية إلى الحبس والضرب.

حتى قال لي شيخنا: والله يا عصام في مرة من المرات من شدة التعذيب لما استدعاني المحقق فسألني عن اسمي فمكثت لحظات فقال: ما لك؟ فقلت: أتذكر اسمي.

وفي سنة ١٩٧١م وبينا شيخنا قد دفع كتابه" مختصر تفسير ابن كثير" للطبع في لبنان أراد الحصول على إجازة للكتاب لسمح بنشره في سوريا، فذهب إلى المفتي كفتارو وطلب منه المفتي تزويده بنسخة ليطلع عليها فأرسل له نسخة فلما رأى تعليقات الشيخ وحواشيه السلفية أمر بحذفها فقال الشيخ: لنتناقش حولها فأبى المفتي وقال: لن أسمح بدخول الكتاب وفيه هذه الحواشي.

فقال له الشيخ: أليست هناك حرية رأي فها أنتم تسمحون بدخول كتب الشيوعية والكتب الفاسدة فأبى المفتي إلا منع التفسير وقال له الشيخ: سوف أدخله رغماً عنكم.

فما كان من المفتي إلا أن حرض الدولة على الشيخ فقاموا بإلقاء القبض عليه وحبسه وتعذيبه تعذيباً وحشياً حتى وضع في غرفة صغيرة الحجم فوق نهر بردى أرضها من خشب وسقفها قصير تعج فيها الرطوبة، فأقفلوا عليه وَمُنع من الخروج واستنشاق الهواء فيها لعشرة أيام حتى كان يقضي حاجته فيها ولا يوضع له الماء ليصلي فكان رحمه الله يتيمم بسقفها حتى شعر ذات يوم بالاختناق فأخذ يطرق على الباب بأن

نَفَسي قد انقطع وهم يقولون: كذاب حتى رق أحدهم ففتح الباب فإذا بالشيخ يسقط مغشياً عليه وتم نقله إلى المشفى وهناك بعث الله له طبيباً رق لحاله وشعر بأن الشيخ مظلوم فأخبر الطبيبُ الحراسة التي عليه بأنه لا يمكث شهراً حتى يموت.

فاضطروا إلى إخلاء سبيله ورفع الحراسة عنه، وإذ بأرحم الراحمين يمن على شيخنا بالشفاء، وما أن تماثل للشفاء حتى غادر سوريا إلى لبنان سنة ١٩٧٢م فمكث يدعو فيها إلى التوحيد ويزور المشايخ وأهل العلم فيها(١) ويلقي الدروس في المساجد وبين الناس حتى نشبت الفتن في لبنان وبدأت الحرب الطائفية في سنة ١٩٧٥م فتوجه منها إلى السعودية، فآواه الإمام ابن باز وأحسن وفادته، ثم أرسله إلى الأردن مبعوثاً له للدعوة والإرشاد فيها.

*** الدعوة في الأردن:**

ولما استقرت عصا الترحال به في الأردن في سنة (١٩٧٦م) نزل حياً من أحياء مدينة عمان يسمى الهاشمي الشمالي نزله في "مسجد السالك" عند ناشر الدعوة السلفية في الأردن وحامل لوائها خالنا العلامة محمد إبراهيم شقرة ورفيقه في الدعوة الشيخ أحمد السالك الشنقيطي فنزل في مكتبة المسجد إلى أن تم استئجار بيت له في مخيم المحطة -وهو مخيم للفلسطينيين المهجرين من بلادهم- قرب "مسجد السالك" والتحق به أهله.

---

(١) مثل الشيخ زهير الشاويش ومحمد سعيد العبار.

فانطلق الشيخ نسيب رحمه الله في الدعوة إلى التوحيد كالسيل الدافق، دون كلل أو ملل، فلم يدع مسجداً في هذا الحي إلا زاره، وأسمع النـاس فيه دعوة التوحيد، وأخذ يزور الناس ويلتقي بهم بدماثة خلق ورباطة جَأشٍ قل نظيرها.

أقول: ومد له خالنا العلامة محمد شقرة يد العون والمساعدة، فيسر له لقاء علماء الأردن، ومكنه من إلقاء محاضرات في معاهدها الدينية، ومحاضرات للأئمة والخطباء، مما كان له كبير الأثر في دعوة الشيخ نسيب للتوحيد، وتعريف الناس بها في الأردن.

والتقى الشيخ –رحمه الله– بإخوة له في الأردن على نفس الخط والمنهج وأثمرت اللقاءات تعاوناً عظيماً على نشر الدعوة في الأردن كله، ومن هؤلاء الشيوخ عبد الرؤوف العبوشي ويوسف البرقاوي[١].

ثم انتقل شيخنا إلى بيت أوسع في نفس الحي في الهاشمي الشمالي قرب "مسجد التكروري" وانطلق من هذا المسجد إلى سائر المساجد في عمان والمحافظات والألوية كالزرقاء والهاشمية وسحاب وغيرها كثيرٌ وهو لا يفتر عن نشر العقيدة الصحيحة وبيان ما يضادها من أقوال أو أفعال، وغالب دروسه ومجالسه في التوحيد، وكان – رحمه الله– يحذر الناس من البدع والخرافات، وكانت له دروس في التفسير أيضاً والفقه، ومما قوى أمره توليه الخطابة، فخطب في عدد من المساجد يُعلّم في خطبه

(١) توفي الشيخ البرقاوي سنة (٢٠٠٩م) وإن شاء الله سوف أعرف بهما في كتابي: "تاريخ الدعوة السلفية في الأردن".

العقيدة الصحيحة بأسلوب قَلَّ نظيره يفهمه المتعلمُ والعاميُّ[١]؛ لأن صاحب الدعوة لا تقتصر دعوته على النخبة من طلبة العلم فقط، بل العامة وهم من أحوج الناس أيضاً إلى دعوته، لذلك كان الشيخ رحمه الله مهتماً بهم اهتماماً شديداً غير مغلق بابه دونهم بل أبوابه كانت مشرعة لهم يزورهم ويتفقدهم ويلين لهم الكلام ويلقاهم بالبشر والابتسامة.

*** مناقشاته ومناظراته:**

وكان رحمه الله يكثر من زيارة الأئمة والخطباء والمدرسين في المدارس والجامعات يعرض عليهم دعوة التوحيد ويطلب منهم نشرها وتبليغها للناس، وكانت له مع كثير منهم مناقشاتٌ ومناظراتٌ أثمرت -ولله الحمد- إقناع الكثير بعقيدة السلف أصحاب الحديث، وأخرجهم من ظلمة الشعوذة إلى نور التوحيد والمنهج العلمي الصحيح.

ومما أعانه رحمه الله على قبول دعوته أسلوبه الرفيع في المناظرة وحسن خُلُقه العظيم فكانت تصدر منه دائماً لخصومه مقولته المشهورة: "أبوس روحك اسمعني، خذني بحلمك يا شيخي".

وينبه الخصم دوماً إلى أن الشيطان هو المغلوب المدحور وأنا وأنت المنصوران.

---

(١) لأن بعض الإخوة إذا خطب كأنه يخطب لطبقة معينة من كبار أهل العلم فتراه يملأ خطابه بوحشي اللغة وغريبها، ويرتفع في أسلوبه حتى عنان السماء فلا يكاد يفهم عليه سامعه إلا إن كان رافعي زمانه وأما إذا كتب فأنت بحاجة إلى علم المبرد أو الجاحظ لتفكك عباراته وتحليل رموز إشاراته.

## * جلده في الدعوة:

كما قلت فشيخنا -رحمه الله- كان عنده حرص عظيم على دعوة التوحيد وَهَمٌّ كبير على تصحيح عقائد الناس، فكان ينطلق في كل مكان في الأردن شرقاً وغرباً يدعو إلى الدعوة السلفية المباركة، ولقد رأيته -رحمه الله- وقد اشتد به مرضه والآلام في ظهره وركبته، مع ما يعانيه من داء السكري يصعد إلى المسجد ليلقي الدرس فيجلس في الطريق مرات ومرات، بل كان يذهب إلى الأماكن البعيدة، وكان يركب سيارة الأجرة بنفسه وينطلق إلى الأحياء والإخوة لإعطاء درس دون تعب أو ملل مع نشاط كبير لا أكاد أعرف له نظيراً، بل ووالله الذي لا إله إلا هو ما رأيت أحداً في الأردن في نشاطه وجلده في دعوة العوام والناس إلى التوحيد مع ما اعتراه من أمراض وأوجاع وأسقام بل لما أثر مرض السكري على شبكية عينه وضعف بصره حتى غدا لا يستطيع القراءة إلا بشق الأنفس إلى أن تطور الأمر فصار يرى من يقابله في صورة (غباش) فيميزه من صوته إن كان يعرفه من قبل.

أقول: ومع كل ما أسلفت بقي مواظباً على دروسه نشيطاً في دعوته فكان يذهب إلى المسجد فأقرأ له ويشرح إن كان الدرس من كتاب وإلا فيرتجل الكلام -رحمه الله- وقبل موته بمدة بسيطة جاءه إخوة من منطقة الوحدات طالبين درساً في التفسير فابتدأ معهم شيخنا -رحمه الله- تفسير القرآن من كتابه "مختصر تفسير ابن كثير" يوم الاثنين بعد صلاة العشاء في بيته يُقْرأ عليه ثم يشرح وقبض -رحمه الله- وهو في شرح أول سورة البقرة.

*** شيوخه:**

كان الشيخ -رحمه الله- مجيداً للغة العربية، وشاعراً ماهراً، مما أعانه على تشكيل حياته العلمية، ومع هذا فاستفاد من كثير من أهل العلم منهم:

*** شيخنا محدث بلاد الشام وشامة هذا الزمان محمد ناصر الدين الألباني** -رحمه الله- والذي كان شيخنا الرفاعي يكثر والله الذي لا إله إلا هو من قوله لي: الشيخ ناصر أنفاسه أنفاس رسول الله ﷺ، وكان يقول لي حينما أقول: محدث بلاد الشام فيقول: بل محدث البلاد الإسلامية، وكان يقول لي سمعت الشيخ ابن باز يقول: ما تحت قبة السماء أعلم بالحديث من الشيخ الألباني.

وقال شيخنا الرفاعي في رسالته "نوال المنى" عن الشيخ ناصر: ((وهو شيخنا وعالمنا وقائدنا في الدعوة، وهو المحدث الذي قل أن يوجد له نظير في العالم العربي)).

أقول: وكان يقول شيخنا أبو غزوان -رحمه الله-: اثنان لهما الفضل علي:

١- ابن تيمية.

٢- والألباني.

أما ابن تيمية فاستفدت منه العقيدة الصحيحة، وأما الألباني فصاحب الفضل علي في المنهج واتباع السنة حيث كنت قبل لقائه أعتقد أنه إذا اختلف الأئمة الأربعة في مسألة فيكون الصواب مع أكثرهم فلما جالست الألباني أخذت عنه المنهج السلفي العلمي اتباع الدليل.

وقد لازم شيخنا الرفاعيُّ شيخنا الألبانيَّ ربع قرن فكان له كالأخ لا كالتلميذ مع شيخه فكانا يداً واحدة في نشر الدعوة في سوريا كلها.

أقول: وكان شيخنا الرفاعي -رحمه الله- يفتخر بهذه التلمذة ولما أحضرت له كتاب "حياة الألباني" وقلت له: انظر يا شيخنا إلى صنيع هذا الكاتب حيث وضع قائمة بأسماء تلاميذ الألباني فذكر مَنْ هم دونك في العلم ودونك في التلمذة بل بعضهم عرف الدعوة السلفية عن طريقك؟

فقال: يا عصام هون عليك فأنا تلميذ الألباني وهذا أمر واقع لا مفر منه.

ثم قال لي الشيخ نسيب رحمه الله: مرة كنت أتباحث مع الشيخ ناصر بعدما دب الخلاف بيننا فقلت له: يا شيخنا فقال: لست شيخك! فقلت له: تلمذتي عليك تاريخ، والتاريخ لا نسخ فيه!

وقال شيخنا الرفاعي في خطاب أرسله إلى شيخنا الألباني: ((وإنني أعترف بأنني قد أفدت منك ومن صحبتك العلم النافع)).

أقول: ومما لا يعرفه كثير من الناس أن شيخنا الرفاعي دَرَسَ كتاب "الباعث الحثيث" على شيخنا الألباني وتعلم منه علم الحديث وقال لي شيخنا الرفاعي: وبعد أن شرح لي الشيخ مصطلح الحديث انتقلنا إلى الدروس العملية فطلب مني أن أتدرب على التخريج وأعطاني "سنن ابن ماجه" وطلب مني تخريج أول خمسة أحاديث وحينما يرجع إلى حلب في كل زيارة ينظر في تخريجي وأستفيد من ملاحظاته.

قال شيخنا: وفعلاً بدأت بتخريج أول خمسة أحاديث ولكن انتبهت أني إذا استمررت في هذا العمل سوف أنشغل عن الدعوة فعلم التخريج سيلتهم وقتي فآثرت نشر التوحيد على الانشغال في التخريج(١).

أقول: وكان شيخنا رحمه الله من تعظيمه للشيخ الألباني يكلفني مراراً أن أسأل شيخنا الألباني في بعض المسائل الفقهية والحديثية.

وللتاريخ والإنصاف أقول: إن شيخنا الألباني -رحمه الله- كان في نفسه معظماً للشيخ الرفاعي ووالله لقد لمست من شيخنا الألباني محبة لي وتقديراً زائداً عن سائر الطلاب بسبب كثرة ما كنت أذكر له الشيخ نسيب الرفاعي وأتعمد أن أقول له:

قال شيخنا نسيب الرفاعي كذا في حين كان بعض الإخوة أصلحه الله يقول وينادي شيخنا الرفاعي بشيخنا فإذا كان في مجلس الألباني يقول: قال أبو غزوان أو نسيب الرفاعي هكذا مجرداً من لفظ الشيخ.

---

(١) بعض الإخوة اليوم يظن كونه طالباً للعلم عليه أن يملأ كل وقته بالتأليف والكتابة، وينسى أمر الدعوة ولقاء الناس وهذا وهم وظن باطل.

فشيخنا الإمام الألباني رحمه الله كان في شبابه شعلة نار فكان يزور الناس وينطلق إلى المدن تعليماً ولقاء بالناس وتعريفاً بدعوته دعوة الكتاب والسنة فكان يزور الأردن كما سيأتي ثلاثة أيام في الشهر وأما في محافظات سوريا فحدث عن البحر بل سل كل تلامذة الألباني وأصدقائه يخبروك أن الألباني لما تعرف بهم كان هو الذي يسعى إليهم ويزورهم في أماكن نزلهم، وأما تقليله من الدروس في آخر عمره فكان خارجاً عن إرادته لا يدان له فيه.

وخلاصة الكلام في الخلاف الذي جرى بين شيخيَّ رحمهما الله رحمة واسعة أن خلافاً نشب بين شيخنا الرفاعي وتلميذه ناصر الترمانيني[١] في عام ١٩٦٧م هل نساء الأنبياء وأمهاتهم معصومات من الزنى أم لا؟

فذهب شيخنا الرفاعي إلى عصمتهن، وأنه لا يمكن أن يقع منهن الزنى؛ لا لذواتهن، وإنما لمقام وجناب النبوة كما قال ابن كثير في تفسيره (٨/ ١٧١): ((وَلَيْسَ الْمُرَادُ: {فَخَانَتَاهُمَا} فِي فَاحِشَةٍ، بَلْ فِي الدِّينِ، فَإِنَّ نِسَاءَ الْأَنْبِيَاءِ معصوماتٌ عَنِ الْوُقُوعِ فِي الْفَاحِشَةِ؛ لِحُرْمَةِ الْأَنْبِيَاءِ، كَمَا قَدَّمْنَا فِي سُورَةِ النُّورِ)).

وذهب الترمانيني[١] أن شأنهن شأن النساء فيمكن أن يقع منهن، ولما جاء شيخنا الألباني إلى حلب في رحلته المعهودة كل شهر ثلاثة أيام وَطُرِحَ عليه الأمر نَصَرَ

---

(١) كان أمياً بائعاً للخضار في حلب فتعرف به الشيخ نسيب رحمه الله ثم دعاه إلى السلفية فكان من المجيبين والمناصرين للشيخ فعلمه الكتابة والقراءة وأقبل بجد يدرس على يدي شيخنا الرفاعي حتى فهم المنهج الصحيح ثم عين إماماً في مسجد صغير ثم عرفه الشيخ نسيب على الإمام الألباني رحمه الله وصار من طلابه النجباء وكان الشيخ ناصر رحمه الله بعد الخلاف مع الشيخ نسيب إذا زار حلب الشهباء نزل ضيفاً في بيته وكانت هناك تعقد دروس العلم، وعلى كل فهو من خيرة الدعاة إلى التوحيد في حلب بل بعد سفر شيخنا الرفاعي منها صار شيخ السلفيين فيها بلا منازع توفي رحمه الله عام ١٤٢٧هـ التقيت به في بيت الشيخ نسيب الرفاعي حينما جاء معزياً أولاده بوفاة شيخه الرفاعي ولقد حدثنا يومها عن الشيخ نسيب الرفاعي وجهوده في نشر الدعوة السلفية في حلب فبكى وأبكى الحضور وكان يومها قد حضر اللقاء اثنان من الثلة القديمة التي كان لها شرف التلمذة على الألباني ونشر الدعوة السلفية في سوريا شيخنا في الإجازة الداعية المجاهد زهير الشاويش رحمه الله والشيخ شكري جحا رحمه الله.

الترمانينيَّ وأيد رأيه بأن عائشة مثلها مثل أبي بكر فأبو بكر لم يكذب وسماه النبي ﷺ صديقاً ومع هذا فهو غير معصوم من الكذب وابنته مثله، فهي طاهرة، ولكنها غير معصومة من الزنى، شأنها شأن نساء المؤمنين، ومحتجاً بقوله ﷺ لعائشة في قصة الإفك:

((وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ العَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ، ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ))(٢).

أقول: وجرت مناظرات وجلسات استمرت عامان أفضت بالشيخ نسيب رحمه الله أن يفارق الشيخ الألباني ومن يقول بقوله.

أقول: هذا ما يصلح ذكره من الخلاف بين شَيْخَيَّ رحمهما الله، وإن كان فضيلة شيخنا الكبير الإمام الألباني قد ذكر الخلاف في الصحيحة (٦/ ٢٩) من وجهة نظره، ومن ذاكرته ومحفوظاته للأمور، ولولا أن شيخنا الرفاعي رحمه الله لم يكن يقبل إشاعة هذا الخلاف؛ لذكرت وجهة نظره وسوقه للأحداث من خط يده، ومن مراسلاته مع الإمام الألباني رحمهما الله وغفر لهما، قال الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٧٥): ((قلت: كلام الأقران يطوى ولا يروى)) وقال في موطن آخر (١٠/ ٩٢):

---

(١) متابعة لما ذكره عبد الوهاب النجار في كتابه قصص الأنبياء، إذ أصل المشكلة في بحث قرأه الترمانيني في هذا الكتاب يرد فيه النجار على شيوخ الأزهر، فوافق النجار في عدم عصمة نساء الأنبياء وخالفه في حمل خيانة امرأة نوح ولوط على الخيانة الزوجية.

(٢) رواه البخاري (٢٦٦١) ومسلم (٢٧٧٠).

((قلت: كلام الأقران إذا تبرهن لنا أنه بهوى وعصبية، لا يلتفت إليه، بل يطوى، ولا يروى، كما تقرر عن الكف عن كثير مما شجر بين الصحابة، وقتالهم - رضي الله عنهم أجمعين- وما زال يمر بنا ذلك في الدواوين، والكتب، والأجزاء، ولكن أكثر ذلك منقطع، وضعيف، وبعضه كذب، **وهذا فيما بأيدينا وبين علمائنا، فينبغي طيه وإخفاؤه، بل إعدامه، لتصفو القلوب**، وتتوفر على حب الصحابة، والترضي عنهم، **وكتمان ذلك متعين عن العامة**، وآحاد العلماء، وقد يرخص في مطالعة ذلك خلوة للعالم المنصف، العري من الهوى، بشرط أن يستغفر لهم، كما علمنا الله -تعالى-)).

أقول: مع أني ولله الحمد قد خالطت ولازمت الشيخين ملازمة تامة في خلواتهما وجلواتهما فوالله الذي لا إله إلا هو ما لمست من أحدهما حقداً على الآخر، ولا شعرت أن في قلب أحدهما ضغينة نحو الآخر، بل لما جاء حسن السقاف وزار الشيخ نسيب في بيته للمناقشة في التوحيد، وكنت أنا وشيخنا أحمد السالك الشنقيطي في المجلس نفسه، ذكر حسن السقاف للشيخ نسيب أنه جمع تناقضات الألباني فقال له الشيخ نسيب: هذا من مناقب الشيخ ناصر وحسناته وأمانته وديانته.

فقال السقاف للشيخ نسيب -محرشاً-: الألباني يقول عنك أنك مشرك[1].

فقال له الشيخ نسيب على الفور: ومع هذا فأنا معه ضدك.

فلما ذكرت ذلك لشيخنا الألباني رحمه الله، قال: هكذا هم أهل السنة.

---

(١) وهذا كذب وافتراء على الشيخ الألباني رحمه الله.

* سماحة العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله جالسه ورافقه واستفاد منه كثيراً.

* والشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ.

* والإمام عبد العزيز بن باز.

* والشيخ محمد عبد الرزاق حمزة.

* والشيخ عبد الله بن حميد.

قال شيخنا رحمه الله في خطابه المفتوح إلى الشيخ ناصر : ((بالإضافة إلى ما استفدته وما تلقيته من العلوم من علماء المملكة العربية السعودية كالشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ عبد الله بن حميد، والشيخ محمد عبد الرزاق حمزة، مما حبب إليَّ المطالعة الدائمة والكتابة والتأليف بما أحمد الله تعالى عليه وهو أهل للحمد والشكر)).

*** التواصل مع العلماء:**

التقى شيخنا –رحمه الله– بأئمة زمانه من كبار العلماء في كل مِصْرٍ من أمصار المسلمين، وكانت بينه وبينهم مراسلاتٌ ومجالسات ومعاونة في الخير على نشر دعوة الكتاب والسنة فسجن أيام الاستعمار الفرنسي مع الداعية الإسلامي مصطفى السباعي، والتقى العلامة المحدث أحمد شاكر، والشيخ سيد سابق، والشيخ حامد الفقي، والعلامة محب الدين الخطيب، والعلامة تقي الدين الهلالي، والعلامة خليل هراس، والعلامة عبد الرحمن الوكيل، والشيخ المجاهد عبد الله عزام وغيرهم كثير.

كما كانت بينه وبين شيخنا أحمد محمد السالك الشنقيطي مجالس علم ومباحثات وحضرت لهما عدة مباحثات ومناقشات فقهية، كما التقى وجالس خالنا وشيخنا الأديب مؤسّس الدعوة السلفية في الأردن محمد إبراهيم شقرة، وكانت بينهما مجالس علم وتعاون في نشر الدعوة السلفية، ولقد هاتفتُ خالنا صباح وفاة الشيخ وأخبرته بوفاته، فما ملك دموعه حتى سمعت بكاءه على الهاتف.

وأما علماء السعودية فكان دائم التواصل معهم وخصوصاً الإمام محمد بن إبراهيم آل الشيخ والإمام عبد العزيز بن باز رحمهما الله.

ولقد حدثني شيخنا محمد نسيب عن مواقف عظيمة للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ تدل على غيرته على الدين منها:

* قال الشيخ نسيب -رحمه الله- دخلت أنا والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ على الملك سعود، فقال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رافعاً صوته وقد علاه الغضب قبل أن يجلس: يا سعود -بدون لقب-:

أجعلت نفسك نداً لله تكتب الجرائدُ تم بأمر الله والملك أو تم بعون الله والملك(١) .

فقال الملك: يا سماحة الوالد أعوذ بالله، والله ما أمرت بهذا ولا هم أطلعوني عليه تعال يا سماحة الوالد اجلس بجانبي وأخذ يهدئ من غضبه ويتلطفه بالكلام.

(١) الشك مني (عصام).

* قال الشيخ نسيب دخلت على الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ صباحاً فقال لي: تعال معي أريد أن أذهب للملك قال: فذهبنا فلما دخلنا على الملك قال له الشيخ محمد بن إبراهيم: مات فلان -رئيس دولة عربية- لا أريد أن تشارك المملكة في العزاء فقال له الملك: يا سماحة الشيخ لا نستطيع.

فقال له: إذاً أبرق من فورك إلى الوفد السعودي أن يتأخر عن الصلاة وأن يتأخر عن الذهاب معهم إلى المقبرة ويصل وقد فرغوا من الدفن، فلا يجوز أن نصلي عليه أو أن نقوم على قبره فقال له الملك: يكون خاطرك طيباً وأفعل ما تريد.

قال الشيخ نسيب: وأمر الملك بأن يتصل بالوفد ونحن جلوس.

فائدة:

أقول: ولقد أهدى الشيخ محمد نسيب -رحمه الله- نسخة مخطوطة من كتاب "الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة" للحافظ ابن القيم للملك سعود بن عبد العزيز -رحمه الله- صورها من المكتبة العثمانية في حلب رجاء أن يطبعها الملك فيستفيد منها أهل العلم وطلبته.

* توحيد السلفيين في جمعية واحدة:

كان -رحمه الله- يؤمن بالعمل الجماعي المنضبط بضوابط الشرع البعيد عن التعصب والحزبية، **فكان من أمنياته توحيد السلفيين في جمعية واحدة في العالم كله، تعنى بالتوحيد ونشر الدعوة، وتوحيد جهود السلفيين، وتنمية أواصل المحبة والوفاق بينهم،** ولما نزل الأردن حاول أن يجمع كلمة السلفيين في جمعية، يلتقون فيها ويتعارفون

ويضعون البرامج والخطط لنشر الدعوة السلفية في الأردن وتم التشاور مع طلبة العلم وكاد الأمر أن ينجح لولا استشارة شيخنا الألباني -رحمه الله-، فرفض ذلك رفضاً قاطعاً مما دفع الإخوة إلى التراجع وفشل المشروع.

وهذه الفكرة ليست بنت لحظتها بل كان فكرة يحملها الشيخ -رحمه الله- في صدره قديماً وهو في حلب ونتج منها بيت التوحيد جمعية الصراط المستقيم الذي أسسها في حلب، ومما وقفت عليه رسالة أرسلها شيخنا -رحمه الله- إلى جمعية أنصار السنة المحمدية بمصر متواصلاً معهم كما نقلها الشيخ عبد الله السبت في كتابه "حكم العمل الجماعي في الإسلام" (ص٢٥):

((حقق اللهُ الآمال. حضرة... رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

منذ أربع سنوات تقريباً، ونحن نعمل بفضل الله لنشر الفكرة السلفية الصحيحة في مدينتنا حلب، وكم تعرضنا لانتقادات المبتدعين، وهجمات الخرافيين الذين كثيراً ما يوغرون صدور العامة علينا، ولكن بفضل الله سبحانه استطعنا برغم كل هذه المحاولات الوضيعة أن نشق طريقنا إلى الأمام، محاولين أن ننجح في إحياء سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام.

وكنا نظن ونحن في مستهل جهادنا، أننا وحدنا نتحمل هذه الأعباء، وأشد ما كانت فرحتنا عظيمة جداً لما تحققنا أن لنا بمصر وحماة ودمشق، ذلك بعد أن قمنا بجولة لتأليف جمعيات متحدة على أساس الفكرة السلفية، فاتصلنا بحماة وإذا بنا أمام

إخوان لنا يجاهدون في هذا السبيل منذ نصف قرن بقيادة الأستاذ الشيخ سعيد الجابي - رحمه الله-، وبأثناء وجودي في دمشق واتصالي مع الأخ السلفي السيد ناصر الأرنؤط[١]، إذ وقع بصري على مجلتكم الزاهرة "الهدي النبوي" فتصفحتها، فإذا بها غاية ما ننشد فازداد فرحنا لوجود إخوان لنا في القاهرة أيضاً، وإنني شخصياً عرفت فضيلتكم من الكتب السلفية التي تسعون لنشرها، ككتب ابن تيمية وابن قيم الجوزية رضي الله عنهما، وكم وددت الاتصال بكم، ولكن كنت لا أعلم العنوان بصورة مضبوطة إلى أن عرفته من المجلة، فحمداً لله وشكراً.

لمسنا في هذه المجلة الهادية للمرة الأولى نوراً لم نلمسه في أية مجلة قرأناها منذ أن تفتحت أعيننا للنور، فجزاكم الله عن المسلمين كل خير.

ونحن ما نزال ندعو إخواننا السلفيين للاشتراك بها، وها إنني مرسل لكم اثني عشر اسماً اشترك أصحابها في المجلة بواسطتنا ونأمل بمدة وجيزة أن تبلغ الاشتراكات مئة اشتراك ويزيد.

**يا صاحب الفضيلة فكرة طالما كانت تجيش في صدري أود أن أعرضها عليكم، وقد آن اليوم أن نحققها، وهي لمّ الأشتات المبعثرة من الإخوان في سائر البلدان، وضمها جميعاً في جمعية واحدة ذات أهداف واحدة وأنظمة واحدة أيضاً،** فما رأيكم في الموضوع؟

لا شك أنكم موافقون؛ **لأنها فكرة تعطي القوة والثبات على الحق،** إنني حققت قسماً منها، وذلك عند تجوالي في المدن السورية، وقد اتصلت وقتئذٍ بالأستاذ بهجت

(١) وهو شيخنا شامة بلاد الشام ومحدث الزمان الإمام محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله.

البيطار والأستاذ ناصر الأرنؤوط والشيخ حامد التقي وذلك في دمشق، أما الأستاذ البيطار فقد رحب بالفكرة إنما تردد في الاشتراك بها رسمياً لظروف يجدها غير مواتية له في الوقت الحاضر، وإنما وعد أن يساعدنا ويؤازرنا بها، أما الأستاذان الأرنؤوط والتقي فقد كانا متحمسين غاية الحماس، ثم ذهبت إلى حماة فوجدت الإخوان في غاية من القوة في المدينة كما ذكرت ذلك آنفاً، واتفقت معهم على أن تضم جمعيتهم وجمعيتنا بعضهما إلى بعض، وكان الأمر كذلك، فنحن الآن نمشي على نمط واحد.

وهكذا نأمل أن تتسع الحركة اتساعاً يرضي الله ورسوله ﷺ، وقررنا وقتئذٍ الاتصال بفضيلتكم، وها نحن نعرض الفكرة، وفي هذه المناسبة نرجو إرسال صورة عن نظام جمعيتكم للاسترشاد به ولنخطو نحو الانضمام نهائياً في جمعية واحدة تكون لها فروع في كافة العالم الإسلامي.

ثم ذكرت مجلة الهدي النبوي أنه كان قد وصلها قبل هذا الخطاب من شيخنا الرفاعي -رحمه الله- قصيدة له في هجاء الصوفية كان أرسلها لهم شيخنا الألباني -رحمه الله- ومن الأبيات التي نشرتها المجلة:

سبحانك اللهم عما أشركوا ... بك من عوالم لم تكن لولاك
سلكوا الطريق إلى الهلاك يقودهم ... (شيطانهم) نحو الجحود دراكا
أوحى لهم كذباً بأنهم على ... حق يؤهلهم دخول حماك
ومتى غدا إبليس يوماً ناصحاً ... بالحق أو أوصى بنيل رضاك
سبحانك اللهم إنك واحد ... حاشاك مما أشركوا حاشاك

ثم قالت المجلة: جزى الله الأستاذ عن دينه وإخلاصه بخير ما يجزي به المحسنين من عباده، وإن اقتراحه الذي يرمي إلى توحيد صفوف الجماعات السلفية هو الذي كنا نتمناه ونهدف إليه، وهو الآن موضع عناية الجماعة ودراسة مجلس إدارتها، والله الموفق وهو المستعان.

*** تلامذته:**

* الشيخ ناصر الدين الترمانيني استفاد منه في التوحيد والعلم استفادة كبيرة حتى صار من كبار الدعاة إلى الله في حلب.

* الشيخ شكري جحا.

* الشيخ الداعية عدنان عرعور.

* الشيخ الملا إسماعيل إلياس الكردي وكان داعية في منطقة الجزيرة (في سوريا) وقد زار شيخنا ونزل عنده ضيفاً وتعرفت به، وهو شيخ الشيخ حمدي عبد المجيد السلفي، توفي رحمه الله عام ١٩٩١م في حادث اصطدام مع جمل في الطريق.

هؤلاء الذين أعرفهم من أصحابه السوريين.

* الداعية المفسر حامل راية القرآن والمعلم المربي فضيلة الشيخ الدكتور عبد العظيم بدوي الخلفيُّ لقباً السلفيُّ عقيدة ومذهباً وهو من الإخوة الدعاة المصريين الذين كانوا في الأردن يبثون الخير في ربوعها.

* الشيخ حمدي عبد المجيد السلفي.

تعرف به في سنة ١٩٥٦م كما حدثني بذلك الشيخ حمدي السلفي، وشيخنا نسيب هو الذي عرف الشيخ حمدي بالشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله.

**فائدة:**

حدثني شيخنا حمدي عبد المجيد السلفي -رحمه الله- أن شيخنا محمد نسيب الرفاعي رحمه الله طلب منه لقاء الزعيم الكردي ملا مصطفى البارزاني وذلك بعد أن وُقِّعت اتفاقية آذار عام ١٩٧٠م بين ملا مصطفى البارزاني والحكومة العراقية وذلك بإعطاء الأكراد الحكم الذاتي.

قال الشيخ حمدي: فرتبت اللقاء وذهبت أنا والشيخ نسيب والشيخ ملا إسماعيل الكردي، قال: ولما جلسنا مع ملا مصطفى البارزاني دعاه الشيخ نسيب إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في منطقة الأكراد، وإلى ضرورة تعليم الأكراد العقيدة الصحيحة.

فقال ملا مصطفى للشيخ نسيب: مثل حمدي! فقال له: نعم. قال: لا أستطيع، فقال له الشيخ نسيب: السبب؟ قال: لأن حكومة بغداد سوف تؤلب المشايخ ضدي فيصدرون فتاوى بتكفيري، إذا أنا أعلنت السلفية يكفرونني.

ثم قال ملا مصطفى للشيخ نسيب: ممكن أنفذ المطلوب بشرط تمويلي حتى أدفع لمشايخ الأكراد فلا تصدر فتاوى ضدي.

فقال له الشيخ نسيب: أبشر بالخير، وسوف أكلم الملك فيصل في ذلك.

قال الشيخ حمدي: وصلى بنا الشيخ نسيب إماماً العصر والمغرب والعشاء، وكان ملا مصطفى يصلي معنا.

ثم زار الشيخ نسيب الرفاعي ومعه الشيخ حمدي الملك فيصل في موسم الحج فلما دخلوا على الملك وكان الشيخ حمدي يلبس لباس البشمركه فضحك الملك، ورحب بهما، ثم أخبره الشيخ نسيب بما جرى مع ملا مصطفى البارزاني فقال له الملك: عين خير.

قال الشيخ حمدي: ثم التقينا بالشيخ عبد اللطيف آل الشيخ، فلما رآني مع الشيخ نسيب فقال: أنت الشيخ الكردي؟ قلت: نعم فقال: اليوم تأخذ الكتاب الذي يسرك.

قال الشيخ حمدي: ثم اجتمعنا بالملك وأعطاني كتاباً جيداً يقول فيه لملا مصطفى: أنا مستعد ما هي مطالبكم.

قال الشيخ حمدي: ثم عدنا والتقينا بملا البارزاني وأعطيناه كتاب الملك، وفرح به فرحاً شديداً، ولكن بطانة السوء أفسدت الموضوع؛ لأن أغلب السياسيين من حوله كانوا ملاحدة.

* الشيخ المحدث علي بن حسن الحلبي الأثري.
* الشيخ وفيق النداف.
* الشيخ مراد شكري.
* الشيخ نعمان أبو عياد.
* الشيخ محمود أبو غزالة.

* الشيخ مصطفى أبو غزالة.

وغيرهم من إخوة فضلاء جالسوه وانتفعوا به كالشيخ تيسير صبحي، والشيخ صالح اللحام، والشيخ يحيى الرفاعي، والأستاذ زكريا الرفاعي، والشيخ أحمد مصلح، وخلق كثير.

* ثناء العلماء عليه:

لقد قَرَّضَ له "مختصر تفسير ابن كثير" أئمة الدعوة السلفية في زمانه فاثنوا عليه وعلى مختصره وأنقل لك ثناءهم من تلك التقاريض:

* **الإمام عبد العزيز بن باز** قال فيه: ((أما بعد فقد أطلعني الأخ العلامة محمد نسيب الرفاعي على مختصره لتفسير الحافظ ابن كثير – رحمه الله –)) ولا شك أن الإمام ابن باز لا يطلق لفظة العلامة إلا على من يستحق هذا الوصف حقاً وصدقاً.

* **الداعية الرحلة العلامة تقي الدين الهلالي** حيث قال: ((ولذلك كان سروري عظيماً بهذا الكتاب الذي حرره أخونا العالم السلفي المحقق الأستاذ الشيخ محمد نسيب الرفاعي رفع الله في الدارين درجته وأجزل فيهما مثوبته...)).

قلت: والعلامة تقي الدين الهلالي عالم مغربي فاضل طاف البلاد وخبر علماءها فتكون شهادته عالية غالية.

* **علامة الشام سماحة الشيخ محمد بهجة البيطار** حيث قال: ((وقد بدا للأستاذ العلامة السلفي المحقق الشيخ محمد نسيب الرفاعي أن يختصر هذا التفسير ...)).

* **سماحة مولاي أحمد علي العدلوني الحسني** مفتي مراكش والجبل الأطلس قال: ((تصفح كاتبه بعض ما دبجه يراع العلامة الخبير والمجاهد الكبير الأديب الشيخ محمد نسيب الرفاعي أطال الله بقاءه وخلد في الصالحات ذكره ...)).

* **العلامة الشيخ محمد فيهم أبو عبية** رئيس بعثة الأزهر الشريف في لبنان حيث قال: ((ومن أجل ذلك تصدى العالم الفاضل الشيخ محمد نسيب الرفاعي ...)).

* تعريف دار الإفتاء والإشراف على الشؤون الدينية في المملكة العربية السعودية حيث قالوا:

((وبعد فإن حامل هذا التعريف هو فضيلة الشيخ محمد نسيب الرفاعي رئيس جمعية الدعوة السلفية للصراط المستقيم سوريا حلب وهو يعد بحق من العلماء المجاهدين في سبيل نشر عقيدة التوحيد والمكافحين من أجلها وقد لقي في هذا السبيل مقاومة من أعداء الدعوة الألداء ولكنه صبر وكافح ...)).

أملاه إبراهيم بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ نائب مفتي الديار السعودية.

* قال شيخنا بالإجازة **الشيخ المجاهد والداعية الكبير أبو بكر زهير الشاويش** رحمه الله(١): ((الشيخ نسيب الرفاعي العالم المجاهد ورائد السلفية في حلب.

---

(١) قال شيخنا الألباني رحمه الله في مقدمته لكتابه خطبة الحاجة (ص ٦): ((أخونا الفاضل الأستاذ زهير الشاويش صاحب المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، وإليه يعود الفضل الأول في الديار السورية وغيرها بطبع الكتب التي تنشر السنة، وتدعو إلى اتباع السلف الصالح، والدفاع عن الشريعة المطهرة جزاه الله خيراً وزاده توفيقاً)).

انتقل إلى رحمة الله تعالى الشيخ نسيب الرفاعي عن قريب من تسعين عاماً أمضاها في جهاد المستعمرين، ونصح الضالين والمنحرفين وتربية الجاهلين)).

ثم قال: ((وتوثقت صلتي به منذ منتصف الأربعينات، والآن وقد مضى على ذلك خمسون عاماً أشهد أنه بقي على ما كان عليه من اهتمام بأمور الأمة وحماس في الدعوة إلى الإيمان والخير بنشر ما يعلم من الحق.

وبذل الغالي والنفيس من ماله وبكرم زائد، ضمن الحد المشروع من غير إسراف مذموم، أو شح يأباه الله من عباده، مع طلاقة وجه ومهذب لفظ، وصدر رحب مع الخصم قبل الصديق، وتسامح مع الظالم المخطئ، وعفو وغفران للمصر على الإساءة إليه، وعلى الأخص إذا كان من إخوانه وتلامذته، أو كان من أهل العلم)).

ثم قال: ((كان نسيب الرفاعي في مدينة حلب الشهباء، مناراً للعقيدة الصحيحة والسلفية المبنية على العلم، وهو أول من أسس داراً للتوحيد في بلاد الشام، وهو أول دعاة السلفية بين عامة الناس في حلب)).

* **خالنا العلامة محمد إبراهيم شقرة** قال: ((رحم الله أبا غزوان، فقد كان بحق داعيةَ توحيدٍ، ومعلمَ خير، وباذل معروف، وصانع إحسان، ويداً بارَّة، وردءَ فضل، وصوتاً سَبَنْدى على الخارجين عن الأدب النبوي، وسوطاً يلهب ظهور أهل الشرك والخرافة، وأقفية القبوريين والزنادقة، وشوكة ناشبة في حلوق الغائصين في وحل التصوف الحائد، وعلة ماكثة في صدور المبتدعة المفسدين، وعصاً غليظةً تهوي على رقاب المتكسبين بالإسلام والمارقين)).

* العلامة المحدث **أبو إسحاق الحويني** حيث قال: ((ولقلما رأت عيناي مثله في تواضعه وأدبه وحسن خلقه ...)).

* **مؤلفاته:**

١- تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، طبع في أربع مجلدات (مطبوع).

اختصر فيه شيخنا تفسير ابن كثير وهو من أحسن المختصرات، حيث نثر فيه شيخنا العقائد السلفية والتعليقات الرضية بين جنابتيه فأجاد وأفاد رحمه الله.

وأما طريقة اختصاره فقد أبان شيخنا نفسه رحمه الله عنها حيث قال: ((اعتمدت -فيما أرى- طريقة طيبة في الاختصار وهي: أنني لخصت كلام المفسر رحمه الله بشكل أبقيت على روح معانيه بدون أي خلل بأسلوب واضح يفهمه العالم والمتعلم والمبتدئ بطلب العلم وحتى العامة إن قرأوه أو قرئ عليهم[1]...)).

قلت: وأما أحاديث الكتاب فقد حاول شيخنا جهده في انتقاء الأحاديث ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ومع هذا الحرص فقد وقع شيخنا في أوهام فصحح أحاديث ضعيفة، وكان أول من نبه على ذلك فضيلة الشيخ محمد جميل زينو - رحمه الله- في رسالة أرسلها له وذكر فيها أنه قام وولده بمراجعة لبعض أحاديثه على كتاب ضعيف الجامع الصغير للألباني فلينظره.

---

(١) وهذا نهجه رحمه الله حتى في دروسه ووعظه.

وفعلاً قام شيخنا رحمه الله بمراجعة للأحاديث ووضع ملاحظات على الفهرس في آخر الكتاب ولانشغال الشيخ رحمه الله بالدعوة للتوحيد حال دون إتمام المراجعة فطلب مني رحمه الله أن أنهض بذلك فعمدت إلى الأحاديث وراجعت كتب شيخنا الألباني ووضعت بجانب كل حديث حكمه وبقيت هناك أحاديث لم نجد حكماً للشيخ الألباني رحمه الله عليها فطلب من بعض إخواننا طلبة العلم المتقدمين في الحديث أن ينهض بهذا العمل بأجر مدفوع له، ولعل ظروف ذلك الأخ لم تسمح له بذلك!

ثم يَسَّرَ الله لي المرور على كل أحاديثه وبيان صحيحها من ضعيفها -فلله الحمد والمنة-.

أقول: كان هذا العمل والاهتمام قبل صدور أول نقد لشيخنا العلامة الألباني رحمه الله حيث كان أول نقد في الضعيفة المجلد الثالث وما بعده.

وقد رَحَّب شيخنا الرفاعي رحمه الله بنقد شيخنا الألباني لهذه الأحاديث إلا أنه أخذ عليه شدة اللفظ وقساوة الأسلوب، وقد قال لي شيخنا الرفاعي: لما عملت المختصر طلبت من الشيخ ناصر مراجعة أحاديث الكتاب فاعتذر بأن وقته لا يسمح بذلك لكونه يعمل في المكتب الإسلامي وما فضل من وقت منهمك هو فيه ما بين إتمام مشاريعه ودروسه وزياراته الدعوية.

ثم قال لي شيخنا الرفاعي: أريد أن أكتب للألباني خطاباً أشكره فيه على اهتمامه الآن بأحاديث الكتاب وتنبيهي على الأخطاء مذكراً إياه بأني لست من المعاندين أو

المستكبرين فيكفي الألباني أن يقول لي صحيح أو ضعيف وأنا أنزل عند قوله فلا حاجة به إلى الأسلوب الخشن وغلظة العبارة.

ثم قال لي رحمه الله: أكثر ما أثر في نفسي قوله: ((الحلبيان))!!

٢- التوصل إلى حقيقة التوسل المشروع والممنوع (**مطبوع**).

مطبوع في مجلد تعرض فيه شيخنا لمسألة التوسل بالصالحين عارضاً فيه أدلة المانعين والمجيزين مرجحاً الصواب معتمداً فيما يرجحه على الكتاب والسنة بأسلوب عز نظيره وهو بحق أفضل الكتب المتعلقة بهذه المسألة.

ولقد خط لي شيخنا على طرته إهداء يَظْهر فيه تواضُعُهُ -رحمه الله- مع تلامذته فقال رحمه الله: ((هديتي لأخي في الله الشيخ عصام موسى هادي آملاً أن يفتح الله عليه في هذا العلم ويكون إن شاء الله علماً في الدعوة إلى الله تعالى عن علم وبصيرة)).

٣- قل جاء الحق محمد أفضل الخلق لا أول الخلق (**مطبوع**).

وهي رسالة لطيفة الحجم عظيمة الفائدة أبطل فيها شيخنا خرافة طالما علقت في أذهان عوام الناس بل بعض الخاصة منهم.

٤- أوضح البيان فيما صح من قيام رمضان (**مطبوع**).

وهي رسالة صغيرة مدحها شيخنا الألباني رحمه الله في الضعيفة (٢/٣٧): ((**فائدة**: دل حديث عائشة وحديث جابر على مشروعية صلاة التراويح مع الجماعة، وعلى أنها إحدى عشرة ركعة مع الوتر.

وللأستاذ نسيب الرفاعي رسالة نافعة في تأييد ذلك اسمها " أوضح البيان فيما ثبت في السنة في قيام رمضان " فننصح بالاطلاع عليها من شاء الوقوف على الحقيقة.

ثم إن أحد المنتصرين لصلاة العشرين ركعة -أصلحه الله- قام بالرد على الرسالة المذكورة في وريقات سماها "الإصابة في الانتصار للخلفاء الراشدين والصحابة" حشاها بالافتراءات، والأحاديث الضعيفة بل الموضوعة، والأقوال الواهية، الأمر الذي حملنا على تأليف رد عليه أسميته "تسديد الإصابة إلى من زعم نصرة الخلفاء الراشدين والصحابة" وقد قسمته إلى ستة رسائل طبع منها : الأولى : في بيان الافتراءات المشار إليها)).

٥- التفسير الواضح على نهج السلف الصالح (**مخطوط**).

وهو تفسير بقلمه -رحمه الله- تعب عليه في آخر عمره وكان يدعو أن لا يقبضه الله حتى يتمه وهو على طريقة تفسير الجلالين لكنه أوسعُ شرحاً وأنفع عبارة للناس وأصحُّ اختياراً، تفسيرٌ سلفيٌّ لا تشوبه بدعةٌ.

وقد حرص فيه شيخنا على اختيار الأحاديث الصحيحة ثم طلب مني مراجعة الأحاديث وبينت له درجة كل حديث من صحة وضعف ثم حاولت البحث عما يغني عن هذه الأحاديث فما وجدت قام الشيخ رحمه الله بتغييره ثم دَفَعَ الكتاب إلى فضيلة المحدث الشيخ علي الحلبي فنظر في عملي وذكر ملاحظاته واستفدنا منها، ثم تَمَّ تعديل ذلك ودفع الكتاب بعد وفاة الشيخ رحمه الله (مصفوفاً منقحاً جاهزاً للطبع في مجلدين) إلى مكتبة المعارف في الرياض لتطبع الكتاب والذي تمنى الشيخ رحمه الله أن يطبع

الكتاب قبل موته ولكن قدر الله وما شاء فعل وما زال الكتاب حبيس المكتبة! لا ندري سبب تعطيل طباعته مع أنه قد مضى أكثر من عشرين سنة على دفعه للطبع!!

٦- نقد قصيدة البردة وما في أبياته من شرك وردة (**مخطوط**).

وهذا الكتاب ما زال مخطوطاً حيث عرضه شيخنا على بعض الناشرين السلفيين الكبار فطلب من الشيخ أن يحذف عبارة شرك فقال له شيخنا: وماذا أقول؟ أليس هو شرك؟! فإن أحببت أن تطبعها كما هي وإلا فشأنك فما أحابي أحداً في دين الله.

٧- شبهات حول دعوة محمد بن عبد الوهاب (**مطبوع**).

٨- ديوان الشعر (**مخطوط**).

ولقد حدثني شيخنا أن هذا الديوان يمثل كافة المراحل التي مر بها الصوفية والوطنية والسلفية ففيه أشعار لا أرتضيها وفيه من الأشعار من الركاكة حتى الذروة.

وما كان الشيخ رحمه الله يرغب في طبعه ولا نشره على الناس.

٩- قصيدة عظيمة باسم قبيل إبليس (**مخطوط**).

نظمها شيخنا رحمه الله في سنة ١٣٧٣هـ لما كان في حلب يقارع أهل البدع والانحراف[١] وقد قرأتها كلها على شيخنا رحمه الله، ثم قبل موته بشهر طلبت منه أن

---

(١) ولعل بعض القراء يرى في هذا اللون شدة على الخصم فأذكره بقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/ ٢٦٥): ((وَكَذَلِكَ مَنْ دَخَلَ مَعَ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالْفُجُورِ، ثُمَّ بَيَّنَ اللَّهُ لَهُ الْحَقَّ وَتَابَ عَلَيْهِ تَوْبَةً نَصُوحًا، وَرَزَقَهُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَدْ يَكُونُ بَيَانُهُ لِحَالِهِمْ، وَهَجْرُهُ لِمَسَاوِيهِمْ، وَجِهَادُهُ لَهُمْ أَعْظَمَ مِنْ غَيْرِهِ، قَالَ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ الْخُزَاعِيُّ - وَكَانَ شَدِيدًا عَلَى الْجَهْمِيَّةِ - أَنَا شَدِيدٌ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنِّي كُنْت مَعَهُمْ)).

يشرحها لي مع أخوين كريمين ونسجل الشرح على أشرطة (كاسيت) وبدأ الشيخ رحمه الله بشرحها إلا أن المنية اخترمته ونحن في نصفها يقول في مطلعها[١]:

نأوا عن الدين حتى قيل قد رحلوا وأغلب الظن وادي الويل قد نزلوا
وتاق للنار كل منهمُ شغفاً لسادة لهُمُ فيها لهم نزل
هم الألى اشربوا الكفر البواح وما ثناهم النصح والتقريع والعذل
غفوا عن الله لا خوف يؤرقهم منه ولا آيه المنشور قد عقلوا
فقلت وا رحمتا للدين من فئة حلالها الزور والتخريف والدجل
فأحدثت منكرات لا تعد ولا تحصى مآثمها واستشرت العلل
قبيل إبليس قد بانت مقاصدكم فلا الأضاليل تخفيها ولا الحيل
دعوى (الوجودية) النكراء كم هتفت بها شياطينكم أهل اللظى الأول
دعوى (اتحادكم) بالله كم نطقت بها الزناديق من ظنوا قد اتصلوا

١٠ – قصيدة يا رب (مخطوط).

وهذه القصيدة من مستحسن قصائده شيخنا حيث يقول فيها:

يا ربُّ يا فارجَ الأزمات والكرب وكاشفَ الغم والويلات والنُّوَبِ
إليك وحدك نشكوا ما ألمَّ بنا فقد غدونا نعاني شرَّ منقلبِ
في كل صقع من الأصقاع نازلةٌ بالمسلمين وحال العرب في تعبِ

---

(١) وفي النية شرحها إن يسر الله لي ذلك.

فلا كتابك موفور الوقار بنا ... ولا صحيح حديث المصطفى العربي
أحكام كلٍّ من الهديين قد وقفت ... وكم عليها من التعطيل من حجب
العالم الفذُّ فذٌّ في مصالحه ... وصالح الدين قد أشفى على العطب
والحاكم العدل ليس العدل بغيته ... ولا يراه سوى في الجاه والرُّتب
إليك يا ربُّ نشكو حال مجتمع ... يعجُّ بالبغي والتضليل والشغب
وأنهار في وهدة الشرك المخيف وما ... أراه إلا صريع الشك والريب
أرى الرجال غدا كلٌّ أبا لهب ... وكل أنثى غدت حمالة الحطب
إلا الذين على التوحيد قد ثبتوا ... ولم يبالوا حشود الكافر الصخب
وتابعوا سنة الهادي وشرعته ... وقد أبوا حكم إلا خاتم الكتب
فهؤلاء همُ القوم الذين بهم ... ستعتلي دولة الإسلام والعرب(١)
يا ربِّ هذي شعوب الأرض قد وثبت ... وأمتي بعدُ لما ترق أو تثب
وقبل كانت من الأطلنط رايتها ... ترق بالمجد حتى مطلع الشهب
واليوم وا أسفي أضحت مفككة ... وبينها فتن مشبوبة اللهب
إني أراها دويلات قد انتشرت ... تبدو كأشرعة مغلولة الطنب
وللجميع إذاعات مدوية ... بأقذع الهجو بالأشعار والخطب
كل يلفق في أخباره تهماً ... تموج بالزور والبهتان والكذب

(١) كتب شيخنا بخطه في الهامش: ((السلفيون في كل مكان)).

كل يسدد يا للعار!! أسهمه إلى القلوب فتهمي بالدم العربي
إلا الأولى رحم الرحمن ألسنة منهم فنزهها عن ثورة الغضب
أين التراحم في الإسلام بينكمُ أين المودة في الأرحام والنسب
فيم الخصام وإسرائيل ترقبكم وسوف تبغتكم بالقهر والغلب
وإنها للذي قد حل بينكموا كانت تعد قناطيراً من الذهب
من أجله كل غال لا تضن به لكنه جاءها عفواً بلا تعب
يا عالم الغيب يا سؤلي ومؤملي متى تعود إلينا وحدة العرب
تعود في قوة والدين يعصمها من المهاوي التي تودي إلى العطب
متى ترف على الهامات رايتها ويرجع الصف جمعاً غير منشعب
من مغرب الشمس حتى الشرق يربطنا حكم الكتاب فنجني غاية الأرب
نريدها وحدة للخير قائدة الله غايتها في كل مطلب
لتوقظ الأمة العربا وتشعرها بواجب قعدت عنه بلا سبب
وتنقذ القادة الساهين عن أمل ما زال يُقرأ في الأحداق والهدب
كأنهم قد سهوا عن واجب خفقت له القلوب رجاء الفوز بالطلب
وشر ما يحطم الآمال قادتها إذا رأوا أوجب الأعمال لم يجب
يا رب أرشدهم النهج القويم إذا هم أهملوا الحد بين الجد واللعب
نريدها وحدة سمحاء منقذة تعيد للدين حقاً عهده الذهبي
تعيد للكون ما أدته من قدم من الحضارات في ثوب العلى القشب

نضفي عليها جناحي عزة وهدى ويخفقان إباً في ساحها الرحب
في ظلها ترقب الدنيا تخلصها مما تنوء به من وطأة الرهب
ولن تعود إلى الدنيا سلامتها حتى يعود هدى الإسلام للعرب

١١- رسالة في صوم يوم السبت ولم تتم (**مخطوط**).

حيث ذهب فيها شيخنا رحمه الله إلى أن النهي عن صوم السبت المراد منه منفرداً أما إذا صمت يوماً قبله أو بعده فيجوز.

ولقد كنت مخالفاً له في هذه المسألة متبعاً لشيخنا الألباني، وقد حدثت بيني وبينه رحمه الله مناقشات مطولة، كان يحثني فيها حثاً على مراجعة أقوال أهل العلم المتقدمين في فهم الحديث وتوجيهه، ثم بعد موته رحمه الله ملت إلى قوله رحمه الله وغفر لنا وله.

١٢- تنزيه عقيدة أهل الإيمان عن عقيدة خلق آدم على صورة الرحمن وهي رسالة في الرد على رسالة الشيخ التويجري عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن ولم تتم (**مخطوط**).

حيث ذهب فيها إلى ضعف رواية ((خلق آدم على صورة وجه الرحمن)).

١٣- الباقيات الصالحات في شرح الأسماء والصفات وهو شرح للأسماء الحسنى بطريقة سلفية رائعة شيقة. (**مخطوط**).

وهي رسالة عظيمة النفع أودع فيها فوائد فرائد إلا أنه لم يتمها حيث شرح عشرين اسماً وقد قرأتها على شيخنا رحمه الله.

١٤- مذهب السلف في آيات الصفات (**مطبوع**).

١٥- بدعة الله في كل مكان (**مطبوع**).

١٦- العمل المؤمل القبول في رد أكذوبة تقبيل الرفاعي ليد الرسول (**مطبوع**).

١٧- الخلافات بين المجتهدين وموقف المسلم منها (**مطبوع**).

وهي محاضرة ألقاها في طلاب المعهد الشرعي في عمان.

١٨- النصوص الشرعية الثابتة في حكم قضاء الصلوات الفائتة (**مطبوع**).

وهي رسالة كتبها شيخنا في حلب ثم في آخر حياته أعاد النظر فيها زيادة وتحريراً ومع الأسف الشديد لما طبع المكتب الإسلامي جزاهم الله خيراً رسائل شيخنا ضم بالخطأ إليها المسودة القديمة وتركوا النسخة المتقنة المحررة المزيدة!

١٩- بدعة تحديد النسل (**مطبوع**).

٢٠- نوال المنى[1] في عصمة نساء الأنبياء من الزنى (**مخطوط**)

وهي رسالة ألفها شيخنا لفضيلة شيخنا الإمام الألباني رحمه الله عرض فيها حجته وأدلته في عصمة نساء الأنبياء من الزنى لا لذواتهن وإنما لمقام النبوة لأن كفر زوجة النبي لا يؤثر على الدعوة ولا يعيقها بعكس زناها فإنه يؤثر على الدعوة وجناب النبوة.

---

(١) كذا عندي وبخط شيخنا وكذا ذكرها في مختصر تفسير ابن كثير ورأيت في بعض الأوراق بخط الشيخ نفسه بلوغ المنى وأظن أن العنوان المثبت هو الذي استقر عليه شيخنا لأني صورتها منه في آخر حياته والله أعلم.

أقول وكان شيخنا رحمه الله يحرص كل الحرص على عدم طبعها ويقول: هذه ألفت للشيخ ناصر نفسه رحمهما الله.

وبعد موت شيخنا قام مَنْ لا خلاق له بطبع هذه الرسالة دون إذن من الورثة أولاً، وقام بحذف مواضيع منها ومسائل ثانياً، وهذا يتنافى مع الأمانة العلمية ثالثاً، وإن كان هذا العمل ليس بمستغرب من خائن.

٢١- حكم الشرعة في صلاة الظهر بعد الجمعة.

٢٢- كتاب السفور والتبرج.

٢٣- لن تعودي يا فرنسا تمثيلية أدبية رائعة.

٢٤- وهناك عدة مقالات وأبحاث نشرها شيخنا في عدة مجلات وجرائد، حيث كان رحمه الله لا تقع عيناه على خطأ في التوحيد في مجلة أو جريدة إلا ويهب هبة الليث الحرب للدفاع عن العقيدة كاتباً مقالاً مناصحاً فيه القوم بأعذب وأرق عبارة مع عدم محاباة أو مداهنة رحمه الله، منها كتاب إلى وزارة الأوقاف الكويتية، ومنها رد على مقال في مجلة الشريعة العراقية، وكتاب إلى فارس الخوري رئيس مجلس النواب السوري، ومنها كتاب إلى مأمون الكزبري، وغيرها كثير.

كما وشارك -رحمه الله- في عدة مؤتمرات وكان له فيها الأثر الطيب فشارك هو وشيخنا الألباني وخالنا محمد شقرة في المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة والدعاة في السعودية والذي حضره كبار دعاة العالم الإسلامي سنة ١٣٩٧هـ وكانت موضوعات المؤتمر:

❊ مناهج الدعوة الإسلامية ووسائلها، وأساليبها، وسبل تعزيزها، وتطوير أدائها بما يحقق أهدافها في عالمنا المعاصر.

❊ إعداد الدعاة.

❊ مشاكل الدعوة والدعاة في العصر الحديث، ووسائل التغلب عليها.

❊ وسائل الإعلام ودورها في توجيه الأفراد والجماعات والمجتمعات، وآثارها المضادة للدعوة الإسلامية وما يجب اتخاذه بإزائها.

❊ الدعوات والاتجاهات المضادة للإسلام، وسبل مقاومتها.

**❊ زوجاته:**

تزوج شيخنا رحمه الله باثنتين الأولى: (أديبة) وبعد زواج شيخنا بها بمدة يسيرة أصيبت بمرض السِّل، ولم تعش طويلاً ففارقت الحياة وهو في المعتقل السياسي من قبل الفرنسيين.

الثانية: أم غزوان ولقد كانت نعم المرأة له عوناً ونصراً وصبراً لدعوته وجهاده رحمها الله رحمة واسعة.

**❊ أولاده:**

أنجب الشيخ -رحمه الله- من أم غزوان جميع أولاده ذكوراً وإناثاً.

فالذكور:

١- "عبد الرزاق غزوان" وقد توفي رحمه الله صابراً محتسباً.

٢- "عبد الله سعود" والذي سماه باسم الملك سعود، وقد توفي رحمه الله في أحداث سوريا الأخيرة إثر مرض ألم به فرج الله عن أهلها.

وكان الشيخ -رحمه الله- قد أضاف لكل اسم من أسماء أولاده لقباً، ولكن لما طال هذا الأمر وصار مزعجاً رسمياً وعملياً اقتصر على ما ذكرت فكان غزوان "ناصر السنة عبد الرزاق غزوان" وكان سعود "سيف التوحيد سعود".

*** عبادته:**

لقد كان شيخنا -رحمه الله- كثير العبادة حريصاً عليها، فكان -رحمه الله- صواماً قواماً، كان يصوم الاثنين والخميس، ولا أذكر أني رأيته ترك هذه العبادة قط مع شدة ملازمتي له وطول صحبتي له.

وكان -رحمه الله- يحافظ على قيام الليل ولا يتركه.

وكان كثير الذكر لربه كثير العبادة حريصاً على تطبيق السنن وفضائل الأعمال ولقد سألني قبل موته بثلاثة أشهر عن حديث أم حبيبة "من يحافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حرمه الله على النار" هل هو صحيح وماذا يقول فيه الشيخ ناصر؟

فأخبرته بأن الحديث يصححه شيخنا الألباني، ثم جرى بيني وبينه بحث قبل موته بشهر حول هل تصلى الأربع متصلات لا يفصل بينهن بتسليم أم تصلى ركعتين ركعتين.

ثم قال لي الشيخ: ما تركت الأربع منذ أن قلت لي إن الشيخ يصحح الحديث.

قلت: فوقع في نفسي قوله ﷺ: ((إذا أراد الله بعبد خيراً عسله. قيل: وما عسله؟ قال: يفتح له عملاً صالحاً بين يدي موته حتى يرضى عنه من حوله)).

* كرمه:

لقد كان رحمه الله شهماً كريماً محباً للضيف يعلم ذلك عنه كل من خالطه أو زاره وإن نسيت فلن أنسى ما حييت كرمه الحاتمي وعبارته المشهورة بعد كرمه وجوده الذي عَزَّ نظيره مع من يعرف ومن لا يعرف: "غض الطرف عن القصور".

فكان رحمه الله ينشغل بالضيف عن نفسه يطعمه ويقدم له وهو يبتسم ووجهه يتهلل بالبشر كأنه مذهبة.

ولقد كان رحمه الله يأبى إلا أن يودع ضيفه إلى الشارع وهو يطلق عبارات الترحيب والابتسام سائلاً الضيف العودة وعدم إطالة الغيبة مع تقدمه في السن والمرض بل ما رأيته تركها أبداً ولقد كنت في كل يوم أزوره وآتيه ويأبى رحمه الله إلا أن يخرج مودعاً لي حتى الشارع مع رجائي له بالبقاء، فيأبى إلا أن يخرج رحمه الله.

* جهاده:

لقد خبرته شجاعاً مقداماً لا يخاف في دين الله لومة لائم، ولا أدل على ذلك من جهاده ضد أعداء الله، فقد كان رحمه الله شعلة نار في جهاده ضد المستعمر الفرنسي كما مر بك، ولقد حدثني مرة أن الفرنسيين كانوا يفرقون مظاهرة للوطنيين قال: فأمسكت عصاً وأخذت ألوح لهم بها، وأنا أصرخ في وجههم وأقول: لا أخشى رصاصكم

وهم يطلقون الرصاص لتفريق المتظاهرين، قال: فأمسك عمي بيدي وقال: يا مجنون تعال لا يقتلونك.

وهذه الروح الجهادية أكسبته قوة في الصدع بالحق، فكان رحمه الله لا يخشى أهل البدع، فيأتي زوايا الصوفيين وتكاياهم فيصدع بدعوة التوحيد بينهم.

وما رأيت هذه الشجاعة فترت عنه حتى في شيخوخته وشدة مرضه، وإن نسيت فلن أنسى ما حييت قيامه في مسجد التكروري بعد خطبة الجمعة بعد مجازر الصرب -قاتلهم الله- في البوسنة والهرسك، وهو يبكي ويقول للناس محرضاً لهم على الجهاد في سبيل الله قائلاً لهم: من لم يستطع أن يذهب بنفسه فليجهز غازياً أو يبعث مالاً للبوسنة، في موقف أبكى الناس وأثر فيهم أيما تأثير.

وبعد صلاة العصر ذهبت إليه فقال لي: أريد أن أخرج ألف دينار للبوسنة، فأخرجها، ثم بعد أيام أخرج خمس مئة أخرى، ثم جاءه شاب فقال: أريد أن أذهب للجهاد في البوسنة، ولا أملك مالاً ولا أعلم كيف أصل، فسألني شيخنا عنه فزكيت الأخ، فأعطاه مالاً كثيراً وتحمل نفقة سفره وأرسله إلى من يوصله ويبلغه مراده.

*** أخلاقه:**

لقد كان -رحمه الله- حسن الخلق طيب المعشر لا يشك من خالطه أنه ابن أصل ومن بيت نبيل رفيع في الأخلاق، وما رأيت أحداً من أحبابه أو أعدائه إلا وشهد له بحسن الخلق وطيب المعشر فكانت كلمة إجماع، ووالله إن حسن خلقه كان مع

الشريف والوضيع، والغني والفقير، والصغير والكبير، مع الموافق والمخالف، مع أهل بيته وخاصته وعامته -رحمه الله-، ولا أدل على حسن خلقه وطيب معشره من تعليمه للأولاد الصغار في "مسجد التكروري" وهو من هو في الفضل والمنزلة والعمل يجلس مع أطفال صغار فيشرح لهم كتاب "الأصول الثلاثة" ويلقنهم دعوة التوحيد، ولقد سجلت له شرحه "الأصول الثلاثة" للصبية الصغار كل من سمعها أذعن للشيخ بحسن الخلق والصبر وحسن الأسلوب، وكنت والله أحدث نفسي وهو يشرح لهم ويصبر عليهم أقول: إن كنت تدرس اليوم صغاراً فهم الكبار غداً.

ووالله لقد رأيته ذات يوم في المسجد وقد سفه عليه سفيه فما زاد على التبسم قائلاً له: الله يسامحك.

فأراد بعض أحباب الشيخ من الشباب أن يضرب هذا الرجل فأمسكه الشيخ وزجره.

* أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر:

أخي القارئ إن سيرة شيخنا مَلْأى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا أدل على ذلك من صدعه بالتوحيد وعدم خوفه أو مهادنته لأحد من الناس قريباً أو بعيداً.

ولو أردت أن أسرد مواقفه وأخباره في ذلك لطال بنا المقام وحسبك قصتان:

الأولى في حرب ١٩٦٧م كانت هناك في سوريا طائرات الميج روسية الصنع فكان الناس يقولون: طلعت الميج تتحدى القدر فقام الشيخ في المسجد يصرخ فيهم عائباً قولهم محذراً لهم من غضب الله.

الثانية: أعلن بعض الرؤساء في سوريا أنه سيعمل على إصلاحات في الاقتصاد ووو...

فأرسل له الشيخ رسالة يقول له فيها لقد ذكرت مشكوراً عدة أمور تريد إصلاحها ولم أسمع منك عن الدين فمتى تصلحون حياة الناس بشرع الله فتحكمونه فيصلح العباد وتصلح البلاد وأرسل له في طي خطابه كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية.

وهكذا كان -رحمه الله- لا يرى منكراً على أحد إلا نصحه.

## * من أقواله:

أخي القارئ أحببت أن أسوق لك جملة من أقوال شيخنا نثرها في مؤلفاته وهوامش كتبه تدل على منهجه وفكره رحمه الله سواء في العقيدة أو الجهاد أو الفقه وغيرها مما يعين القارئ على فهم الشيخ ومنهجه وأسلوب دعوته.

قال شيخنا في تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير (١/٢٧٦): ((قلت: صَدَقَتَ يا رسول الله أشهد أنك رسول الله، فقد فتح المسلمون القسطنطينية، وصارت بلاد إسلام بعد أن كانت بلاد كفر، بل صارت دار الخلافة الإسلامية واستولوا بعدها على ثلث أوروبا وكادوا أن يفتحوا (روما) لولا أن أخبرتَ أن روما ستفتح بَعْدُ، وإن المسلمين اليوم وإن كانوا متأخرين لأنهم هجروا أحكام الإسلام والحكم على أساسه، إنما سينصرهم الله بعد العودة إلى الإسلام من جديد، وسيعلو الإسلام علواً كبيراً وستصدق نبوءتك بفتح (رومية) كما صدقت نبوءتك بفتح

القسطنطينية وإننا نعاهد الله تعالى أن نعمل لذلك منذ اليوم ونسعى جهدنا إعادة الحكم بالإسلام وسنحرر المسلمين من جهلهم أولاً، ثم نحرر بلادهم من كل أثر للكفر ظاهراً كان أو باطناً، ونوصي من بعدنا من الأجيال جيلاً فجيلاً... نسلم كلاً منهم هذه الأمانة حتى يحققها الله )).

قال شيخنا في مختصره (١/ ٦١) معلقاً على كلمة الحسن البصري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾[1].

قال الحسن: "أذلهم الله فلا منعة لهم، وجعلهم تحت أقدام المسلمين".

قال شيخنا: ((قلت: نعم جعلهم "تحت أقدام المسلمين" -هم وغيرهم- لما كان للمسلمين دولة تحكم بما أنزل الله، وكانوا أهلاً لحمل رسالة الإسلام، فحملوها وقتئذٍ بإخلاص لله ولكتابه ولرسوله، لا يحيدون عنها قيد أنملة، ولكنهم لما جعلوا كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وراء ظهورهم واستبدلوها بشرع أعداء الله وأعدائهم، أذلهم الله وجعل بلادهم "فلسطين" تحت أقدام اليهود، بينما كان اليهود بالأمس تحت أقدام المسلمين، لا لأن اليهود خير فاليهود هم المغضوب عليهم... بل لأن المسلمين تخلوا عن مسؤولياتهم في حمل رسالة الإسلام وحكموا بغير ما أنزل الله... فهل للمسلمين

(١) سورة البقرة (٦١).

أن يعودوا إلى الله، ليعود مجدهم ويعود اليهود كما كانوا تحت أقدام المسلمين؟!)).

وقال أيضاً في مختصره (١/٩٩): ((قلت: فيه نهي كبير عن اتباع الكفار وتقليدهم في عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم... وجعلهم مثلاً بالاقتداء كما هو الحال اليوم والعياذ بالله وخاصة في الحكم بغير ما أنزل الله، مع العلم بما جاء به القرآن والسنة من الأحكام، فمن يفعل ذلك فليس له من عذاب الله من ولي ولا نصير)).

وقال في مختصره (١/١٠٣): ((قلت: إن من تتبع نقل الحجر وتأخيره إلى مكانه اليوم ير أن عمر بن الخطاب رأى الحجر يتعثر به المسلمون أثناء طوافهم فأخره رضي الله عنه رحمة بهم، ولم ينكر أحد من الصحابة على ما فعله عمر.

وفي هذه الأيام عام ١٣٨٥هـ وما قبله وإلى ما بعده يكثر عدد الحجاج والحمد لله عاماً بعد عام لدرجة بلغ هذا العام ألف ألف وخمسمائة حاج حتى بلغ من أمر الزحام عنده ما أدى إلى وفاة عدد من الحجاج، وخاصة في العام الذي مضى... فيا ليت أولي الأمر يؤخرونه أيضاً كما أخره عمر بن الخطاب بسبب التعثر، فكيف بالوفاة؟)).

وقال في مختصره (١/١٤٥): ((قلت: لقد وقع الخاصة والعامة في زمننا الحاضر -إلا من رحم ربك- في أمر خطير عظيم وهو دعاء غير الله تعالى من الأنبياء والأولياء والصالحين في أمور لا يقدرون عليها فيما لو كانوا على قيد الحياة، فكيف وقد اختارهم الله إليه، وقضى عليهم بالموت؟! هذه الأمور التي لا يقدر على إجابتها إلا الله وحده لا شريك له، فترى العامة وكثيراً من الخاصة يعكفون على أصحاب القبور، يطوفون حولها سبعة أشواط وينادون أصحابها لقضاء حوائجهم، كالمغفرة والهداية ودفع الضر،

وكشف الكربات، وجلب الرزق، وهبة الأولاد ذكوراً أو إناثاً، ويقولون: يا فلان أنا دخيلك، وفي جوارك... أدركني أغثني... العارف لا يُعَرَّف!!! أنت أعلم بحالي، وأمثال ذلك من الشرك الأكبر...!!!

وإذا دفعتك عقيدتك الطيبة لأن تنصحهم وتفهمهم أن مثل هذه الأمور من العبادات... ولا يمكن أن تصرف إلا لمستحقها وهو الله الواحد الأحد الفرد الصمد، قامت قيامتهم.

وإن مما يدمي القلوب ويفري المهج حزناً ولوعة على ما آلت إليه حال المسلمين هو أن يهب بعض الذين هم محسوبون على الأمة من العلماء هبة عظيمة ويقولوا لك: اتركهم يا أخي... نواياهم طيبة، إنهم لا يقصدون طلب الدعاء من أصحاب القبور، ولكن لجهلهم وعدم معرفتهم لا يعبرون عن مرادهم، إلا بدعائهم، إنما يريدون التوسل بهم إلى الله، وإذا قلت له: حسناً تفضل يا صاحب الفضيلة وعلمهم وعدل من ألفاظهم حتى لا يقعوا في الشرك الأكبر... وهذا الذي قلته لي قله لهم، فيقول لك: لا، لا، يا أخي اتركهم على نواياهم فنواياهم طيبة!! ولا يتقدم ولا خطوة واحدة لنصحهم وإذا نصحتهم أنت قامت قيامته، ونعتك بشتى النعوت التي أقل ما يقال فيها إنها تنابز بالألقاب، ولكن إياك يا أخي المسلم أن يصدنك عن إذاعة الحق أمثال هؤلاء... فاصدع بالحق والله ناصرك ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠] وإنك لترى أيضاً في حلقات الرقص التي يسمونها كذباً وزوراً وبهتاناً حلق الذكر من المنكرات التي أسلفنا مما تنصدع له القلوب من دعوة غير الله تعالى، وفي شكل

مزري، ولو أبصره أعداء الإسلام لشمتوا بالإسلام وأهله ولجعلونا أضحوكة، من ارتفاع بالأصوات إلى القفز والرقص، والتمايل، والضرب على الدف والصنج والطنبور، والأغاني من المردان والتكسر والتمايل، والدمدمة والهمهمة، بما لا معنى له، ويسمون ذلك ذكر الله!!

وحاشا أن يكون ذكر الله متدنياً إلى مثل هذا الدرك الأسفل، هذا عدا عن الشركيات في ألفاظهم كقولهم مثلاً: يا شيخي يا رفاعي أدركني بالفرج وإذا لم تدركني فإلى من ألتجي؟

وأمثال ذلك، والرفاعي بريءٌ مما يشركون فقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾(١).

وقوله ﷺ: ((ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا)).

لأكبر وأبلغ رد على أولئك الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً هداهم الله أو عاملهم بما يستحقون)).

وقال في مختصره (١/ ١٨٧): ((قلت: إذا ثبت حديث: "طلاق الأمة تطليقتان، وعدتها حيضتان" سمعنا وأطعنا.. وإلا فالقول بأن الحرة والأمة في هذا الأمر سواء هو مطابق لعموم الآية، وهو موافق للجبلة والفطرة)).

---

(١) سورة البقرة (١٨٦).

وقال في مختصره (١/٢٨٦): ((قلت: لقد صار حفظ ألفاظ القرآن فقط في زماننا صنعة عند الذين اتخذوا القرآن في الحفلات والمآتم... ويتعجلون أجره ولا يتأجلونه! وهو لا يتجاوز حناجرهم، وسموا ظلماً بالقراء!! وما القراء في مفهوم الشرع إلا العلماء والفقهاء... فلا حول ولا قوة إلا بالله، وإنا إليه راجعون)).

وقال في مختصره (١/٢٩٨): ((قلت: نرى نحن السلفيين أننا نحاول مجتهدين قدر الاستطاعة أن نكون من الفرقة الناجية والله الموفق وهو المستعان وعليه التكلان وحده لا شريك له)).

وقال في مختصره (١/٣٠٣): ((قلت: هذا حسن ظن من المفسر الحافظ ابن كثير رحمه الله وما كان ليدري أن عصابة الإسلام بالشام لم تعد قائمة بالإسلام كما كان يعهد في زمانه، إنما خلفهم خلف أضاعوا الصلاة بل أضاعوا الإسلام برمته، فلا حكم بالإسلام ولا شعور بالمسؤولية، بل ولا إيمان ولا إسلام، فقد تحلل المسلمون ليس في الشام فحسب، بل في أكثر بلاد العرب والإسلام من كل عروة تربطهم بالإسلام، فالبلاد كان الكفار يحكمونها مباشرة بجيوشهم ثم رحلت الجيوش، ولكن ظلت القوانين الكافرة والثقافة الكافرة، فولدت حكماً كافراً، منذ أن كان الاستقلال المزعوم...!! فمن البدهي أن لا ينصرهم الله في أي ميدان لأنهم لم ينصروا الله تعالى، ﴿يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾[1] فمنذ أيام فقط من

(١) سورة محمد (٧).

كتابة هذه الأسطر... وا خجلتاه انهزم المسلمون والعرب -ويشكلون دولاً عديدة وجيوشاً ذات قوة- أمام دويلة من اليهود هزيلة وهي حثالات الأمم ورذالات الشعوب، نعم... انهزمت دول العرب العديدة أمام هذه الدويلة اليهودية وما ذلك إلا انتقام من الله العلي العزيز الجبار لدينه الذي ضيعه العرب، وقرآنه الذي هجره العرب، وشرعه الذي تنكر له العرب، فمن أين يأتي النصر للعرب؟ إذا هم أضاعوا الرسالة، وخانوا الأمانة، وغشوا الأمة،... فالحقيقة التي ما بعدها حقيقة أنهم انهزموا انهزاماً شنيعاً ذليلاً خانعاً... فأصبحوا هزأة الأمم وسخرية الشعوب؛ لأنهم كانوا لا يعتمدون على الله ولا يؤمنون بالله... بل يتبجحون بعروبتهم الكاذبة، ويعتمدون على عنجهيتهم الفارغة، وعلى كفرهم بمبادئ الإسلام وشرعه الذي لولاه لما حكم العرب المسلمون في أول الأمر، أكثر من نصف الكرة الأرضية، أجل كسرهم الله ليعتبروا ويعودوا إلى الحق، ويرجعوا إلى الهدى... فهل يرجعون...؟ وإننا لمنتظرون...؟!!! أقول هذا وقلبي يتفطر ألماً ولوعة وأسىً وإنا لله وإنا إليه راجعون)).

وقال في مختصره (١/ ٤٢٢): ((قلت: فما بال الذين يقولون -والعياذ بالله-: "إن الله في كل مكان" ولا يخفى ما في هذا الكلام من معاني الحلول والاتحاد والوحدة - تعالى الله عن ذلك-، وهناك من يقول: "إن الله ليس فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا أمام ولا خلف وليس هو في داخل الكون ولا في خارجه" وهذا كما لا يخفى وصف للمعدوم والعياذ بالله، والقولان من دسائس اليهود لعنهم الله)).

وقال في مختصره (١/٤٢٧) معلقاً على قول ابن كثير بأن الجهاد فرض كفاية: ((قلت: هذا في حالة الهجوم أما في حالة الدفاع وهجوم العدو الكافر علينا فالجهاد فرض عين على كل مسلم على الشكل الذي يطيق ولو بكلمة... كل بحسب عذره وطاقته وتحمله والله أعلم، أما المخلّفون عن الجهاد وهم يستطيعون فلهم من الله عذاب أليم)).

وقال في مختصره (١/٤٤٥): ((قلت: ولكن رغم كل ما في القرآن الكريم من التصريح بأن لله ملك السموات والأرض تسمع من حلقات الذكر البدعية اليوم أصواتاً منكرة تقول: "عبد القادر الجيلاني المتصرف بالأكوان" ونسوا أن المتصرف في الأكوان هو القادر جل وعلا لا "عبد القادر" اللّٰهم نعوذ بك من الكفر ومن سوء المنقلب)).

وقال فيه أيضاً (١/٤٦٠): ((قلت: وهذا شأن كل السعاة عند الحكام في أي زمان يَشُونَ على المصّلحين بأنهم يفسدون على الحاكم رعاياه؛ ليجعلوا منه عدواً شخصياً للمصلحين والأنبياء، فيستثيرون غضبه ويصلون من وراء ذلك إلى مبتغاهم من المصلحين بمنعهم من الدعوة أو قتلهم... وما إلى ذلك)).

وقال في مختصره (٢/٢٩) معلقاً على كلمة ابن كثير حول مهدي الشيعة ((وليس هذا بالمنتظر الذي تتوهم الرافضة وجوده ثم ظهوره من سرداب سامرا، فإن ذلك ليس له حقيقة ولا وجود له بالكلية، بل هو من هوس العقول السخيفة)).

فقال شيخنا معلقاً: ((قلت: بل من مؤامرات الشعوبيين الذين ملئت قلوبهم حقداً على الإسلام والمسلمين حتى يعلقوا أحلام الناس بمجهول مفقود، ويتواكلوا فيتركوا الجهاد حتى يلد السرداب هذا المنتظر...!

مسكين هذا السرداب المتهم بابتلاع هذا المهدي المعدوم، إنه وذئب ابن يعقوب المتهمان البريئان)).

وقال فيه (٢/١٢٦): ((قلت: هذه الآية الكريمة تشير إلى فوقية الله تعالى وعلوه على جميع خلقه أي عالٍ على كرسيه وعرشه علواً مطلقاً بائن عن خلقه لا يشبه في حال من الأحوال علو المخلوقين ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[١] وإن ذلك العلو حقيقة لا مجازاً كما أخبر عن نفسه وعلى مراده تعالى بلا تكييف ولا تأويل ولا تعطيل ولا تجسيم ولا تشبيه ولا تمثيل، وكذلك تماماً سائر الصفات العلى)).

وقال فيه (٢/١٢٩): ((قلت: وتمام الحديث قالوا من هم يا رسول الله قال: هم على ما أنا اليوم عليه وأصحابي فليعد المسلمون إذن إلى معرفة ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ويسعوا جهدهم إلى التأسي به تماماً، فكرة وعملاً وتطبيقاً، حتى يكونوا ناجين في الآخرة وسعداء أعزاء في الدنيا، فيا ليتهم يفعلون)).

وقال فيه (٣/٢١٩): ((ومن شاء التوسع العلمي فليراجع كتاب "نصب

(١) سورة الشورى (١١).

المجانيق لنسف قصة الغرانيق" لأخينا الكبير الشيخ محمد ناصر الدين الألباني مَدَّ الله في عمره وأجزل مثوبته))[١].

وقال فيه (٣/ ٥٠٠): ((قلت: ومن هؤلاء الكذابين الأفاكين رجل زنديق كافر مشرك ادعى النبوة بالهند في قرية قاديان اسمه "مرزا غلام أحمد القادياني" لعنه الله لعناتٍ متتابعات إلى يوم القيامة، فقد زعم النبوة وأن له قرآناً يزعم أن الله قد أنزله عليه ومن جملة أقواله فيه: "يا أحمد أنت بمنزلة ولدي أنت بمنزلة توحيدي وتفريدي" وقد هلك هذا الكافر الخبيث، فخلفه ابنه، ولهذه الدعوة الضالة جماعات في بعض البلدان وهي صنيعة الإنجليز في الهند، ومن جملة وصايا هذا الخبيث الكافر "مرزا غلام أحمد" أنه إذا وقعت الواقعة بين المسلمين والإنجليز فعلى أتباعه القاديانيين أن يكونوا من أنصار الإنجليز...!! ،

ولهم جماعة في دمشق قليلون جداً، وحاولوا أن ينفثوا سمومهم بحلب، فأرسلوا أحد دعاتهم "غلام أحمد"، فنشطت دعوتنا السلفية له، واستطاعت بفضل الله وحده ثم بمعونة بعض طلاب العلم ومعونة الحكومة عام ١٣٧١هـ ١٩٥١م أن تقف الدعوة السلفية تجاه هذا الداعية الخبيث الكافر، وقفة صامدة، فلاحقته في كل مكان، وسدت عليه كل منافذ دعوته الكافرة الفاجرة حتى قيض الله لنا النصر فطردته من حلب طردة لا رجعة له بعدها إن شاء الله وطهرت الشهباء من رجس دعوته القاديانية الخبيثة

---

(١) قال ذلك شيخنا رغم خلافه مع الشيخ ناصر رحمهما الله في مسألة عصمة نساء الأنبياء من الزنى فتأمل إنصافه وعدله رحمه الله.

الكافرة، اللّٰهم تقبل عملنا لوجهك الكريم، وأثب من أعاننا من عبادك)).

وقال في مختصره (٤/ ٥٦٤) معلقاً على حديث أن رسول الله ﷺ كان يسلم يوم الفتح من كل ركعتين قال شيخنا: ((ونرجوا الله تعالى أن نصليها غداً في كل بلد نحرره من فلسطين، بل ومن العالم أجمع، كما نوصي الأجيال بعدنا بهذه الأمانة... إلى أن تكون كلمة الله هي العليا على الأرض)).

وأختم كلماته بدعائه في آخر مختصره: ((اللّٰهم اجعل أفضل صلواتك، وأكمل تحياتك، وأنمى بركاتك، وأتم تسليماتك، على عبدك ورسولك محمد أفضل خلقك، وخير عبادك، وصفوة أنبيائك وأوليائك، وأكرمهم عليك، وأعظمهم لديك.

اللّٰهم إني أشهد أن طاعته من طاعتك، ومعصيته من معصيتك، ومحبته من محبتك، وهداه من هداك، ورضاه من رضاك.

اللّٰهم إني أشهدك بأني لا أطيع أحداً من خلقك سواه، ولا اتَّبع أحداً من عبادك إلا على هداه، اللّٰهم فثبتني على سنته، وأحيني على شِرعته، وأمتني على ملته، واحشرني على محجته)).

*** منهجه:**

١- محاربة الشرك والخرافة والبدعة.

٢- آثر اللين والتلطف في عرض منهجه ومناقشة خصومه.

٣- ركز على التعليم المباشر لذلك هو مقل في التأليف.

٤- تواصل مع علماء عصره.

٥- عاش هموم أمته وساهم في حل قضاياها.

٦- جاهد بنفسه وماله وقلمه.

* مسك الختام:

والله إن الشيخ كان فوق ما وصفت لك أخي القارئ ومع هذا فقد اجتمعت فيه خصال من يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

١- فهو شاب نشأ في عبادة الله وطاعته.

٢- ووالله لقد كان قلبه معلق بالمساجد، إذا خرج من المسجد أحب أن يعود له، وكان حريصاً على الجماعة حتى أقعده عنها شدة المرض، فكان يخرج في موعد درسه وبقي ينشر العلم في المساجد لا يبالي بكثرة عدد ووالله لقد حدثنا بعض الإخوة من طلبة العلم قال: دخلت مسجداً في منطقة الوحدات فوجدت الشيخ نسيب يدرس وواحد هو الذي يجلس إليه في درسه.

٣- ووالله لقد كان محباً لإخوانه في الله يسرع في نجدتهم بالغالي والنفيس لا يبتغي ثناء ولا شكراً من أحد ووالله ما رأيت مثله في تفقده لإخوانه وسؤاله عنهم واطمئنانه عنهم ووالله لقد مرض شيخنا العلامة أحمد السالك ودخل المشفى لإجراء عملية له فكان الشيخ يومياً يتصل به مع شدة مرضه ويطمئن على حاله حتى اليوم الذي توفي فيه الشيخ نسيب فكرهنا أن نخبر شيخنا السالك وبعد أن فرغنا من دفنه هاتفت الشيخ في المشفى وإذ به يسأل عن الشيخ نسيب وأنه قلق عليه لأنه لم يتصل به فأخبرته بموته رحمه الله فتأثر واغتم لذلك غماً شديداً.

٤- ولقد كان رحمه الله من البكائين من خشية الله ولقد رأيته في عدة مواقف يبكي على حال الأمة ويبكي من خشية الله ولولا ما رأيت من حال الألباني رحمه الله لقلت هو أسرع من رأيت دمعة لكن الحق والحقَّ أقول: ما رأت عيناي قط أسرع دمعة وبكاء من شيخنا الألباني رحمهما الله.

٥- دعته امرأة ذات جمال فقال: إني أخاف الله كما حدثني بقصة جرت له في لبنان لا داعي لذكر تفاصيلها.

٦- ولقد كان رحمه الله من المتصدقين بالسر ولقد حدثني إخوة في مسجدنا بعد موت الشيخ رحمه الله أنه كان ينفق عليهم ويطلب منهم أن لا يخبروا أحداً بهذا.

٧- ولم تبق إلا السابعة وأظنه لو ولي عدل وأما في شأنه فوالله لقد كان عادلاً في أهله وجيرانه وبين الناس كلهم، ولا أدل على ذلك يوم أن نزلت قيمة الدينار الأردني فأرسل إلى صاحب البيت هو بنفسه ورفع قيمة أجرة البيت.

*** وفاته:**

كان آخر درس لشيخنا رحمه الله يوم الاثنين الموافق ١٩٩٢/١٢/٩م في تفسير القرآن والذي بدأه مع إخوة من منطقة الوحدات بدأه في مسجد التكروري، ثم تم نقله إلى بيته -رحمه الله- لمرضه وتعبه من الصعود إلى المسجد.

أقول: وقبيل فجر الأربعاء قام الشيخ كعادته ليصلي الليل وهي عادته -رحمه الله- وبعد أن فرغ من قيام الليل أراد أن يجدد وضوءه لصلاة الفجر وكان رحمه الله

مصاباً بداء السكري وكان قد أصيب بجرح في قدمه مما دفعه إلى أن يتوضأ ثم يتيمم لجرحه، وكان -رحمه الله- قد أحضرنا له تراباً وضعه في علبة يتيمم به.

أقول: فاستيقظ ابنه عند صلاة الفجر فإذا بالشيخ -رحمه الله- يجلس على (الكنبة) وقد شمر عن ذراعيه وهيأ نفسه للتيمم حيث كانت علبة التراب مفتوحة وأمامه، فقبض -رحمه الله- على تلك الحالة، فأسرع أبناء شيخنا فأحضروا طبيباً قريباً من المسجد، وجاءنا أحد أبنائه على صلاة الفجر، فأخبرنا بموته، فأسرعت إليه -رحمه الله- ورأيته، فإذا به كالنائم وكان مبتسماً ووجهه يشع نوراً فوالله ما رمقت عيناي وجه ميت مثله، ثم تداعى تلامذته من كل فج حتى امتلأ بهم البيت وكل واحد منهم الحزن عليه بادٍ لفراق الشيخ مستبشر بحسن الخاتمة وحسن ما يرى من سرور على وجه الشيخ.

ثم قمنا بتغسيله، فقام الشيخ أبو ليلى الأثري بتغسيله بحضوري وحضور خالنا العلامة أبي مالك محمد إبراهيم شقرة والشيخ علي الحلبي وأبناء الشيخ غزوان وسعود، فوالله لقد ذكر الشيخ أبو ليلى وبعض من حضر: أننا ما رأينا ميتاً مثله من استبشار وجهه عليه الرحمة والرضوان.

ثم قرئت وصية الشيخ على مسمع من أولاده وأحبابه.

وهاك نص وصيته رحمه الله:

أحمد الله تعالى الذي تفرد بالبقاء، وحكم على عباده بالموت، فقال عَزَّ من قائل:

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾(١).

وقال جَلَّ وعلا: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٢).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، الذي أمرنا بقوله جل وعلا: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾(٣).

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله القائل فيما يرويه عنه عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنه قال: ((ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلة أو ليلتين – وفي رواية: يبيت ثلاث ليال– إلا وصيته مكتوبة عنده)).

وأشهد: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾(٤).

فطاعة لله تعالى ولرسوله ﷺ أوصي أنا الموقع: محمد نسيب بن عبد الرزاق بن محي الدين الرفاعي.

مَنْ تركتُ من بعدي من أهل وولد بنين وبنات وقرابة أن يتقوا الله، ويصلحوا ذات بينهم، ويطيعوا الله ورسوله في كل شأن من شؤونهم وأذكرهم بقوله تعالى:

(١) سورة الرحمن (٢٦ – ٢٧).

(٢) سورة القصص (٨٨).

(٣) سورة البقرة (٢٨١).

(٤) سورة الحج (٧).

﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[١]. وأوصيهم بما أوصى به إبراهيم بنيه ويعقوب عليهم الصلاة والسلام: ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[٢].

وأن يُحكِّموا الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح -محمد ﷺ وأصحابه- في كل ما يشجر بينهم.

١- إذا حضرني الموت... أن يحضرني بعض الصالحين العلماء بالسنة المطهرة، ليذكِّروني بحسن الظن بربي، وبرجاء رحمته ومغفرته، ويلقنوني كلمة التوحيد: لا إله إلا الله محمد رسول الله بقوله ﷺ: ((لقنوا موتاكم لا إله إلا الله)) وقوله عليه الصلاة والسلام: ((من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة)).

٢- أوصي من حضرني ممن ذكرت إذا فاضت روحي إلى بارئها تعالى وتقدس، أن يغمضوا عينيَّ ويدعوا لي بخير، وأن لا يسمحوا بنعيي من على المنابر، ولا نعيي بواسطة الإعلانات ولصقها على الجدران.

وتعجيل غسلي بإشراف الصالحين الحاضرين متوخين أحكام السنة الصحيحة وتطبيقها، وأن يكفنوني بثلاثة أثواب بيضاء مبخرة ومطيبة، وأن لا ينتظر قدوم أحد مهما كان، بل يسرع في دفني بالبلد الذي مت فيه، ولا أنقل إلى بلد آخر ولو كان مسقط

---

(١) سورة الأنفال (١).

(٢) سورة البقرة (١٣٢).

رأسي، وإن قدر الله فمت حاجاً محرماً فكفنوني بثياب الإحرام، أي بردائي وإزاري فسيبعثني الله ملبياً.

٣- ليغتسل من غسلني، ويتوضأ من حملني، وأوصي الجميع بألا يلطم علي خد، ولا يشق علي ثوب، ولا يحلق شعر، ولا يناح علي بصوت، ولكن يسترجعون ويقولون: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾(١) لقوله ﷺ: ((ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية)) أي: مثل أن يقول: يا سندي، يا عضدي، يا جملي، من لي بعدك...؟

وما أشبه ذلك من أنواع النياحات... وكلها محرمة.

٤- لا يلبس أحد علي الثياب السوداء، فإنها من شعارات حزن اليهود والنصارى، ولا يحد أحد علي أكثر من ثلاثة أيام إلا زوجتي، فتحد أربعة أشهر وعشرة أيام – وليس معنى الحداد لبس السواد، إنما هو الحزن- وإنما الحزن في القلب.

٥- يمنع منعاً باتاً أن تذبح ذبيحة عند خروج الجنازة، لتمر الجنازة من فوقها! فإن هذا العمل شرك؛ لأنه ذبح لغير الله، وكذلك الذبح على القبر لقوله ﷺ: ((لعن الله من ذبح لغير الله)).

٦- أوصي مشيعي أن يلتزموا بالصمت التام فلا تهليل، ولا تكبير، ولا قراءة قرآن من أحد، فقد قال أحد مشيعي جنازة في عهد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

---

(١) سورة البقرة (١٥٦).

"استغفروا لأخيكم".

فأجابه عمر: "اسكت، لا غفر الله لك".

والحكمة من السكوت من قبل المشيعين: الاتعاظ والاعتبار بالموت وتذكر الآخرة والرجوع إلى الله تعالى.

٧- أوصي المشيعين بالإسراع في جنازتي، إسراعاً غير شديد لقوله ﷺ: ((أسرعوا بالجنازة، فإن تك صالحة فخير تقدمونها عليه، وإن تكن غير ذلك فشر تضعونه عن رقابكم)).

٨- أوصي بألا يتبع جنازتي النساء ولا مجامر النار التي يحرق فيها البخور والطيب، لقوله عليه الصلاة والسلام: ((لا تتبعوا الجنازة بصوت ولا نار)) كما أوصي بألا يوضع معي شيء ما في القبر ولا يصلى علي بين القبور، بل خارج المقبرة.

ومن السنة النبوية أن يخلع المشيعون نعالهم عند دخول المقبرة فقد أمر رسول الله ﷺ أحد المشيعين بقول: ((يا صاحب السبتيتين ويحك ألق سبتيتيك)) فنظر فلما عرف الرجلُ رسولَ الله ﷺ خلع نعليه فرمى بهما.

٩- أوصي أن يكون قبري لحداً لقوله ﷺ: ((اللحد لنا والشق لغيرنا)) أما اللحد فهو: أن تحفر حفرة في جدار القبر القبلي، أفقية مستطيلة بقدر ما تتسع لجسد الميت ثم أوضع فيها مضجعاً على شقي الأيمن ووجهي إلى القبلة، ورأسي إلى الغرب ورجلاي إلى الشرق، ويسند ظهري بأطباق من الحجارة تؤمن بقاء اتجاهي إلى القبلة وإلى ما شاء الله تعالى، ويقول من يضجعني: بسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ.

١٠- أوصي ألا يبنى على قبري أي بناء: حجراً كان أو إسمنتاً أو جصاً، إنما يكون قبري تراباً مسنماً لا يزيد ارتفاعه عن الأرض أكثر من شبر، ولا بأس من أن يعلم ليعرف فلا يدثر، وليدفن فيه من يموت من أهلي، ويستحب لمن يكون عند قبري أن يحثو ثلاث حثيات من تراب من قبل رأسي عند الدفن، لحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ صلى على جنازة، ثم أتي بالميت فحثا عليه من قبل رأسه ثلاثاً.

١١- أوصي ألا يلقنني أحد بعد الدفن كما يفعل الناس اليوم، ويكفيني من لقنني بالشهادة عند الاحتضار، ولكن ليجلس المشيعون ويستغفروا لي لقوله ﷺ لما فرغ من دفن أحد أصحابه: ((استغفروا لأخيكم وسلوا له الله التثبيت؛ فإنه الآن يسأل)) أي: يسأله الملكان، فكذلك أعينوني بالدعاء لي بالمغفرة كأن تقولوا مثلاً: اللّهم لقنه حجته، اللّهم أبدله داراً خيراً من داره وأهلاً خيراً من أهله، اللّهم اغفر له وتوله برحمتك وأمثال ذلك.

١٢- التعزية سنة، ويجوز أداؤها في أي من الأمكنة في الدار على ألا يتهيأ أهل الميت لذلك أو في الطريق أو في المسجد أو في أي مكان آخر يراه فيه، ونص التعزية السنية كما كان رسول الله ﷺ يعزي به أصحابه: ((إن لله ما أخذ وله ما أعطى، وإن كل شيء عنده لأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب)) ولا تحد التعزية بزمن، فأيما آن حضر فيه أحد فله ذلك.

١٣- أوصي أهلي ألا يستقدموا أحداً من القراء لقراءة القرآن في الدار أثناء التعزية، فهذا مما لم يكن في عهده ﷺ لأن قراءة القرآن من غير أهل الميت لا تصل إلى الميت لقوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩].

وقال رسول الله ﷺ: ((الولد من سعي أبيه)) فلا بأس أن يقرأ القرآن للميت أهله: بنوه وبناته وذوو رحمه، ولقوله عليه الصلاة والسلام للذي سمعه يقول في عرفة: اللّهم لبيك عن شبرمة فقال له: ((من شبرمة؟)) قال أخ لي أو قريب قال: ((أحججت عن نفسك؟)) قال: لا، قال: ((حج عن نفسك ثم عن شبرمة)).

١٤- يمنع التدخين من قبل المعزين لا من عند أنفسهم، ولا ضيافة؛ لأن التدخين حرام؛ لأن التدخين مؤذٍ وكل مؤذٍ خبيث وكل خبيث حرام لقوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾(١) والدخان خبيث؛ لأنه مؤذٍ والتدخين إذاً حرام.

١٥- يمنع الاحتفال وصنع الطعام من قبل أهلي يوم الوفاة للناس، بل يجب على الأقارب أو الجيران صنع طعام لأهلي، لأنهم مشغولون بما أتاهم، لقوله ﷺ: ((اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد أتاهم ما يشغلهم)) وكان جعفر قد استشهد بمؤتة.

١٦- وكذلك يمنع من الاحتفالات البدعية: كيوم الثالث ويوم الأسبوع، ويوم الأربعين والسنوية، فكل ذلك من بدع أهل الكتاب -اليهود والنصارى- أما إذا شاء

---

(١) سورة الأعراف (١٥٧).

أهلي أن يتصدقوا علي في غير هذه الأيام المذكورة، فلا بأس في ذلك، بل من السنة.

١٧- أوصي ورثتي أن يقسموا ما تركت من أموال أو أراض زراعية أو دور أو غير ذلك أن يقسموا ذلك على ما فرض الله من الشريعة الإسلامية: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ﴾(١) لا على أساس القانون الوضعي: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾(٢).

١٨- أوصي بـ عشرة الآف دينار أردني أو ما يعادلها من العملات؛ لتنفق على تجهيزي ودفني والصدقة على الفقراء والمساكين، وما تبقى يوضع في بناء مسجد سلفي ليس فيه بدعة.

١٩- وصيي من بعدي هو ابني عبد الرزاق الرفاعي والناظر ابني الثاني عبد الله سعود الرفاعي وليس له ولا لأحد غيره أن يغير ما جاء في هذه الوصية وأبرأ من كل فعل أو قول يخالف الشريعة الإسلامية، ومن أهمل أو بدل شيئاً مما ذكرت فإثمه على الذي خالف: ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(٣).

تحريراً في يوم الأحد تاريخ ٢٣/ المحرم/ ١٤١٢هـ الموافق ٤/آب/١٩٩١م

(١) سورة النساء (١١).

(٢) سورة المائدة (٤٤).

(٣) سورة البقرة (١٨١).

وصلى الله على محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

**ثم نقلناه إلى مسجد التكروري وصلينا عليه عقب صلاة الظهر.**

وقد صلى عليه خالنا الشيخ أبو مالك ثم وعظ الناس موعظة بليغة ذرفت منها العيون وحضر الصلاة جمع من أهل الفضل والعلم منهم شيخنا الكبير الإمام الألباني رحمه الله حيث كانت عيونه ملأى بالدموع، وشيخنا المجاهد والأستاذ الكبير زهير الشاويش.

ولما سمع طلاب الشيخ وأحبابه نبأ وفاته قدم من حلب الشيخ ناصر الدين الترمانيني معزياً أولاد الشيخ محدثاً لنا بفضائل الشيخ وشيء من دعوته وجهاده في حلب بعد صلاة المغرب في مجلس حضره شيخنا المجاهد الكبير الأستاذ زهير الشاويش رحمه الله، وكان شيخنا الألباني رحمه الله قد هاتفني بأن الترمانيني سيأتي أبناء الشيخ معزياً ثم أصطحبه إلى بيت شيخنا الألباني وفعلاً بعد أن جلس الترمانيني وقتاً انطلق إلى بيت شيخنا الألباني رحمه الله فلما طرق الباب وفتح له شيخنا الألباني سعى إليه وهو يبكي ويقول:

مات نسيب، مات نسيب، ثم تعانق هو والترمانيني والدموع تملأ عينيهما رحم الله جميع مشايخنا.

أقول: وعوداً على بدء بعد أن فرغنا من الصلاة على الشيخ في مسجد التكروري توجهنا إلى مقبرة الرصيفة وهي مقبرة قريبة من عمان يدفن فيها أهل عمان موتاهم وكان الشيخ رحمه الله قد دفن زوجته أم غزوان فيها.

أقول: ووقف شيخنا وخالنا أبو مالك فوعظ الناس موعظة أبلغ من الأولى وأثنى فيها على حسن خلق الشيخ نسيب رحمه الله ودعا فيها الإخوة أن يقتدوا بهذا الشيخ الجليل في حسن خلقه وأدبه وجهده وجهاده في دعوة التوحيد.

أخي القارئ: هذا ما خطه القلم وأسعفت به الذاكرة عن حياة شيخنا الرفاعي مما يصلح للنشر ويستفيد منه الناس تعريفاً بالشيخ ودعوته، وبقيت هناك أشياء أسر بها لي شيخنا وأمور خاصة لا يصلح نشرها على عامة الناس فرحم الله الشيخ رحمة واسعة.

قصيدة في رثاء الشيخ نظمها الشيخ مراد شكري:

هل أُطْفِئتْ في (الهاشمي) شُموعُ ... أم أَقْفَرَتْ في جانبيه رُبوعُ
فمن الرجال إذا عَدَدتَ مَشاعِلٌ ... إن زال فهْو كما يزول ربيعُ
هذا أبو غزوان وَدَّعَنا وقد ... لَذَعَ الفؤادَ الدمعُ والتوديعُ
ليتَ المهات كما أتاك أتى لنا ... عند الصلاة وقد أُجيفَ هجوعُ
فالخاتماتُ دلائلٌ وشواهدٌ ... أن السرائر قدرُهُنَّ رفيعُ
والعلمُ قال الله قال محمدٌ ... لا الهدرُ والتزييفُ والتشنيعُ
والجنةُ العلياء أرفعُ منزلاً ... من أن يطاها نافخٌ وجموعُ

أُدْرُجْ إلى مرقى الجنان بظننا والظن بالله الكريم وقوعُ
لك شيمةُ الحر الكريم طبيعةٌ والخُلْقُ أعلى ما أتى المطبوعُ
وحياءُ مِخفارٍ وطيبُ سريرة ولسانُ صدقٍ مشرقٌ ونصوعُ
وجهادُ نَخْوِيٍّ وهبَّةُ ثائرٍ وثرى الشَّآمِ مصدِّقٌ ومذيعُ
فعليك رحمات الإله تنزلت وإليك دعواتُ التُّقاةِ طُلوعُ

أقول: هذا ما تيسر لي من ترجمة شيخنا العلامة محمد نسيب الرفاعي -رحمه الله- مع اعترافي بالتقصير وعدم إيفائي حقه رحمه الله وغفر له.

وصلِّ اللّهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

***

# فهرس الموضوعات

***

# صفحات من حياة العلامة محمد نسيب الرفاعي

تأليف

عصام موسى هادي